الأربعون التعليمية

من حديث معلم البشرية

صلى الله عليه وسلم

كتبه

سليمان بن أحمد السويد

الأربعون التعليمية

من حديث معلم البشرية

صلى الله عليه وسلم

ح سليمان أحمد سليمان السويد، ١٤٣٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السويد، سليمان أحمد سليمان
الأربعون التعليمية./ سليمان أحمد سليمان السويد. - الدمام، ١٤٣٩هـ.
١٣٤ ص؛ ١٧×٢٤سم
ردمك: ٤ ـ ٧٧٠٩ ـ ٠٢ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨
١- الحديث الصحيح ٢- الحديث - شرح أ- العنوان
ديوي ٢٣٧.٧ ١٤٣٩/١٠٢٧٨

رقم الإيداع : ١٠٢٧٨/ ١٤٣٩
ردمك : ٤ ـ ٧٧٠٩ ـ ٠٢ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

للتواصل: ٠٥٠٥٨٢٣٤٥١

الطبعة الأولى
(١٤٤٠هـ)

دار ابن الجوزي
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية: الدمام - طريق الملك فهد - ت : ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣ ، ص ب ٠ واصل: ٢٩٥٧ الرمز البريدي: ٣٢٢٥٣ - الرقم الإضافي : ٨٤٠٦ - فاكس : ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - تلفاكس : ٢١٠٧٢٢٨ جوال : ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨ - الإحساء - ت : ٥٨٨٣١٢٢ - جدة - ت : ٦٨١٤٥١٩- ٠٥٩٢٠٤١١٣٧١ بيروت : هاتف: ٠٣/٨٦٩٦٠٠ - فاكس : ٠١/٦٤١٨٠١ - القاهرة - ج.م.ع - محمول : ٠١٠٠٦٨٢٣٧٣٨٨ تلفاكس : ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠
الموقع الإلكتروني : aljawzi.Net البريد الإلكتروني : aljawzi@hotmail.com-

Twitter : @aljawzi instagram : @aljawzi Whatsapp : ٠٠٩٦٦٥٠٣٨٩٧٦٧١

دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع : Facebook

الأربعون التعليمية

من حديث معلم البشرية

صلى الله عليه وسلم

كتبه

سليمان بن أحمد السويد

توزيع

دار ابن الجوزي

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

للنخبة المباركة من المعلمين والمعلمات

الذين بذلوا أوقاتهم وأعمارهم وطاقاتهم

في بناء فلذات أكبادنا بناء علمياً ونفسيًا،

أحاطوهم بالحب واكتنفوهم بالرحمة

وغذوهم بالعلم والإيمان،

أناروا لهم دروب الحياة، بل والآخرة

بدلالتهم على الخير وهدايتهم لمراقي الفلاح.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم، الذي علمه بالقلم، الحمد لله رب الخلق ومربيهم، الحمد لله الهادي لخير طريق وأقومه، الحمد الله الذي منَّ علىٰ عباده ببعثة الرسل وإقامة دلائل الهدىٰ والخير، ثم الصلاة والسلام علىٰ خير معلم للبشرية وأفضلهم وأرحمهم وأحرصهم علىٰ هدايتهم حتىٰ قال الله تعالىٰ ثناء عليه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] وقد بلغ الغاية في الحرص علىٰ هداية أمته ودلالتهم علىٰ الخير حتىٰ أهلك نفسه شفقة ورحمة عليهم فقال له ربه عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]، وقال تعالىٰ: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨] فلم يدخر وقتا، ولا جهدا، ولا أسلوبا ينفعهم إلا بذله؛ حتىٰ قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما سُئلت: «هل كان النبي ﷺ يصلي وهو قاعد؟ قالت: نعم، بعد ما حطمه[1] الناس»[2].

---

(١) من التحطيم والتكسير وهذا لانشغاله ﷺ في مصالحهم وحاجاتهم ومنها تعليمهم.

(٢) صحيح مسلم برقم: ٧٣٢، والسائل هو: عبدالله بن شقيق.

أما بعد:

فجريا علىٰ عمل العلماء في تصنيف رسالة تجمع أربعين حديث من أحاديث المصطفىٰ ﷺ أحببت مشاركتهم في هذا، والتشبه بهم، وقد يتشبه بالقوم من ليس منهم محبة وتقربا، وقد أحببت أن يكون الجمع في باب لم يتطرق له من قبل ليكون فيه شيء من فائدة؛ فاخترت مجالًا عمليًّا ألا وهو التعليم.

ولا شك أن كل مسلم يؤمن -ولو بشكل إجمالي- بقدرة النبي ﷺ علىٰ التعليم بأحسن السبل والطرق والأساليب، وقد تكون في الذهن بعض التطبيقات النبوية، ولكن أن تكون هذه الأساليب كما وتنوعا بهذا الحجم! لم يكن يدر بخلدي هذا الأمر، ولم يكن لديَّ تصورٌ واضحٌ لذلك. ولكني بعد قراءة بعض الكتب التفصيلية في أساليب النبي ﷺ وكتابة بعض المقالات[1] حول أساليب النبي ﷺ في التعليم تفاجأت بهذا الحجم، وهذه الدقة، وأكبر ما أدهشني أن هذه الأساليب لم تكن عفوية بل مقصودة ومتعمدة لغرض التعليم[2].

من خلال البرامج التدريبية والواقع التعليمي، تعرَّفَ من في الميدان التعليمي علىٰ العديد من النظريات والأفكار التعليمية المبنية علىٰ المدارس والنظريات التربوية الغربية، واستفاد الميدان في تغيير العديد من المفاهيم والأساليب.

وكان يلح عليَّ سؤال دائم مبني علىٰ قاعدة تربوية وهي: أن أفضل الأساليب والمناهج والنظريات للنجاح في التعليم [وغيره] هي المبنية علىٰ دراسة حاجات

---

(١) مقال بعنوان: تنوع أساليب عرض الفكرة في حديث طول الأمل، ومقال: لغة الجسد في التعليم النبوي، ومقال التكرار في الحديث النبوي. وهي منشورة في الشبكة العنكبوتية.

(٢) اعترض عليَّ أحد الأخوة [في التعليم] لما ذكرت تقصد النبي ﷺ لحركة جسده في الحديث لإيضاح الفكرة وقال: بأن هذه مبالغة والحركة كانت عفوية ! فلما سردت له عددا من الأحاديث التي استخدم بها جسده لتوضيح الفكرة تبين له أنه لم تكن عفوية بل مقصودة.

وخصاص البيئة المراد التطبيق فيها؛ فكيف ستنجح هذه الأفكار وقد جاءت من بلدانها علىٰ شكل قوالب للتطبيق، نعم قد يستفاد منها، بل لا شك من فائدتها في بعض النقاط فالحكمة ضالة المؤمن، أما أن تطبق بشكل كامل فهذا عنوان فشلها[1]؛ فكل هذا أدىٰ إلىٰ إلحاح سؤال: ألا توجد لدينا نظرية تعليمية متكاملة مبنية علىٰ ثقافتنا [الإسلامية، العربية]؟ لست أشك في وجودها بدليل أنها أخرجت في زمن التقدم للدولة الإسلامية علماء أبدعوا وأسهموا في الحضارة الإنسانية بما خلد أسماءهم، إذا الإشكال في الكسل الفكري الذي تعيشه الأمة، حيث تعيش علىٰ فُتَات موائد الحضارة المعاصرة، فهل من نهضة فكرية شاملة، أساسها العودة إلىٰ الله والدين الحق.

وعندما نريد الإسهام في تكوين مثل هذه النظريات المبنية علىٰ ثقافتنا لا بد من الرجوع إلىٰ الثقافة ومكوناتها، ونحن في المجتمعات الإسلامية نمتلك إرثا كبيرا من التجارب التعليمية، شجعها الجو الفكري العلمي الذي كان يسود الحواضر الإسلامية من شرقها إلىٰ غربها، وبالإضافة إلىٰ هذه التجارب البشرية لدينا المصدر الرباني المتمثل في الوحيين والذي يفوق كل دراسة وفكر؛ لأنه معصوم بعصمة الله تعالىٰ له، وهذا يوفر الوقت والجهد علىٰ الإنسانية خاصة في المجالات التي يصعب علىٰ الإنسان دراستها، ومن هذين المصدرين يمكننا أن نخرج بكثير من الرؤىٰ والأفكار والقواعد الكلية والجزئية المتعلقة بالتعليم وغيره، متجاوزين مرحلة الإثبات إلىٰ البناء عليها[2]، ولهذا أحببت المساهمة في جمع هذه الأحاديث التي تشير

---

(١) لا يعني أن هذا هو سبب فشل تطبيقها الوحيد.

(٢) ويجدر هنا التنبيه علىٰ أمور:

الأول: العصمة للنص لاتعني العصمة للاجتهاد.

الثاني: لابد عند الاستنباط من النصوص الشرعية من تطبيق القواعد والأصول الشرعية المعتمدة الصحيحة.

الثالث: التفريق بين ما كان النص ظاهرا فيه وما كانت دلالة النص عليه ظنية.

إلىٰ أمور جزئية في العملية التعليمة وهي: أساليب النبي ﷺ في تقديمه للمعلومات والمهارات.

كانت الفكرة في البداية جمع الأحاديث والترجمة لها فقط، ولكن ظهر لي وبعد مشورة بعض الأخوة أن ما فيها قد يخفىٰ حتىٰ علىٰ بعض المعلمين وغيرهم من التربويين، فلإزالة هذا الإشكال شرحتها بشكل مختصر، لغرض توضيح الفكرة التعليمية المستنبطة من الحديث فقط، وليس التوسع في الفكرة ولا باستقصاء شواهدها من السنة أو القرآن الكريم.

ضابط الأحاديث المختارة:

هي الأحاديث المرفوعة للنبي ﷺ ويكون فيها ما يخدم عملية توصيل المعارف والمهارات والعلوم للمتلقي.

وهي بهذا لا تتناول الجوانب الأخلاقية والتربوية بمفهومها العام، ولا جانب المعارف نفسها، وكذلك لا تتناول الموقوفات ولا المقطوعات وما بعدها مما ورد عن سلف هذه الأمة.

الكتب التي جمعت أربعين حديثا ولها تعلق بالتعليم:

١- **الاحتفال بأحكام وآداب الأطفال** [أربعون حديثا في الصبيان] لعادل بن عبدالله آل حمد ان الغامدي. وهذا تضمن أبوابا في التعليم وغيره ولكنه أورد كثيرا من الأحاديث في الجانب التعليمي وامتاز بتأصيله الأثري.

٢- **الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم**، للشيخ عبدالفتاح أبو غدة وقد جعلها الشيخ رحمه الله علىٰ أربعين أسلوبا، ولكن بعضها لم يكن ممارسة تعليمية بل جانبا أخلاقيا تربويا، وهو أقرب هذه الكتب لموضوع هذه الأربعين.

٣- **الأربعون التربوية**، أسامة علي متولي، وليس فيه في الجانب التعليمي إلا القليل.

٤- **الأربعون في التربية والمنهج**، عبدالعزيز بن محمد السدحان وذكر أنه أراد بالتربية التعامل مع نفس العبد وجوارحه، وأراد بالتربية: التعامل في دعوة الناس.

٥- **منهج النبي ﷺ في التعليم: خصائصه المتميزه**، خالد بن سليمان الدايل. هذه الرسالة صدرت عام ١٤٣٩ هـ واطلعت عليها قبل تقديمي [الأربعون التعليمية] للفسح بأيام، فلما قرأتها وجدتها أقرب هذه الكتب لغرض الرسالة، ففيها رصد لكثير من الممارسات العملية التعليمية التي في أحاديث النبي ﷺ، وأيضا فيها توزيع لها بحسب المهارات والمراحل في العملية التعليمية، فهي نافعة مفيدة، فجزىٰ الله المؤلف خيرا.

وقد حاول الدكتور خالد مشكورا استخراج منهجا مطردا في مواقف النبي ﷺ التعليمية. فقال: «وهذه المنهجية التي يستخدمها النبي ﷺ ثابتة في جميع المواقف، وتقوم علىٰ أربع مراحل وهي: [التساؤل، والمشاركة، والربط، والتطبيق]» [(١)]. وقد وضح مراده من كل مرحلة [(٢)]، وذكر في آخر الرسالة ستة وخمسين حديثا وبين تمثُّل هذه المراحل فيها.

ومع صحة ما تفضل به حفظه الله من أهمية ووجود هذه المراحل؛ إلا أن القول بوجودها في كل موقف تعليمي مما يصعب استظهاره دائما، ومع إمكانية مناقشة مدىٰ صحة وجودها في بعض الأمثلة التي ذكرها حفظه الله، إلا أننا لو تجاوزناها لمواقف لا يمكن توفر المراحل الأربعة بها، مع اعتبارها مواقفا تعليمية، كالخطب [الجمعة،

---

(١) منهج النبي ﷺ في التعليم ص١٢.

(٢) منهج النبي ﷺ في التعليم ص٣٦.

والعيدين،..]، وغيرها من المواقف العابرة التي تكون فيها الرسالة التعليمية مباشرة وواضحة.

وفي عدم حصر الموقف التعليمي بهذه المراحل فتح وتوسيع لمفهوم وأنواع التعلم، بحيث لا تنحصر فيما حقق هذه الأركان.

فإن قيل: من شروط التعليم والتعلم توفر هذه المراحل. يقال: هذا في مجمل التعليم كمرحلة طويلة، لا في كل موقف تعليمي.

والرسالة مفيدة نافعة في بابها للمعلم والمربي، وللباحث في منهجية النبي ﷺ التعليمية.

ختاما هذا جهد مقل يرجو بحسن النية مالا يرجو بحسن العمل، فما وجدت أخي الكريم من خلل، فمن حقي وحق القراء إظهار التصويب ليزول اللبس عني وعمن قرأ الرسالة، وما وجدت من فائدة فالحمد لله أولا وآخرا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ المبعوث رحمة وهدىٰ للعالمين.

سليمان بن أحمد السُّوَيْد

الدمام: ٠٥٠٥٨٢٣٤٥١

Slim٠٧٣@gmail.com

(١)

تحفيز المتعلم

عن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟**» قال: قلت: الله ورسوله أعلم[1]، قال: «**يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟**» قال: قلت: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. قال: فضرب في صدري وقال: «**والله ليهنك العلم أبا المنذر**»[2].

إن تكرار النبي ﷺ للسؤال يشير إلىٰ أنه كان يعلم بمعرفة أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للإجابة، وقد يقويِّ هذا الظن قول النبي ﷺ في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أرحم أمتي أبو بكر،.. وأقرؤها لكتاب الله أبي**»[3]. وفي هذا دلالة علىٰ أن السؤال كان الغرض منه التعزيز والتحفيز لأبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الاستمرار والتزود من هذا العلم، والله أعلم.

والفارق كبير بين الثناء المباشر، والثناء بعد مثل هذه المواقف.

وقد وفَّرَ النبي ﷺ للتحفيز في هذا الموقف أمرين:

الأول: أرضية التعزيز ليصل إلىٰ التعزيز.

---

(١) في هذا إعطاء المتعلم عدة محاولات للإجابة بشكل صحيح، وفي مسند أحمد: ٥/ ١٤١: «فرددها مرارا»، فكذلك المعلم الحاذق يعلم أن امتناع الطالب عن الإجابة لا يعني دائما عدم القدرة، فقد يكون المانع حياء، أو رهبة من الفشل، أو عدم قدرة علىٰ التحدث أمام زملائه وهكذا فلا يستعجل في تحويل السؤال ولا تأنيب الطالب.

(٢) صحيح مسلم برقم: ٨١٠.

(٣) مسند أحمد: ٣/ ١٨٤.

الثاني: أسلوب التعزيز.

ففي الأولىٰ: احتاج قبل التعزيز إلىٰ:

- المعرفة القبلية لمستوىٰ وميول المراد تعزيزه، لاختيار الموضوع والأسلوب المناسب للتعزيز، فكان قوله ﷺ: «**أي آية من كتاب الله معك**» مبني علىٰ معرفة مستوىٰ واهتمامات أبي بن ثابت ﷺ.

- إظهار ما سوف يعززه به، وكان هذا بسؤاله عن معلومة[1]، وكان يمكن الثناء مباشرة مع ذكر سبب الثناء دون إظهار قدرة أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولكن كان أسلوب السؤال وظهور القدرة بهذا الشكل المثير أقوىٰ في التعزيز، والله تعالىٰ أعلم.

وفي المرحلة الثانية: أسلوب التعزيز. استخدم عليه الصلاة والسلام ثلاثة أساليب في التعزيز.

الأسلوب الأول: الحسي. وذلك بالضرب علىٰ الصدر. وهذا الأسلوب يثبت التعزيز ويقويه في الذهن لأن الحواس المستخدمة أكثر من السمع، فالمتلقي للحركة الحسية يستشعرها بقوة ويجد كلما تذكرها لذة النجاح التي كانت في لحظة التعزيز، ويتصور الحركة التي صاحبت الضربة، ونبرة الصوت فيعيشها كأقوىٰ ما يتذكر به الشخص اللحظات الماضية.

الأسلوب الثاني: اللفظي. قول النبي ﷺ: «**ليهنك العلم**» فيه وضع درجة مرتفعة للإجابة، بحيث استحقت الإجابة أن توصف بأنها [العلم] ثم هو ليس بأي علم بل علم تستحق أن تهنئ عليه، وممن؟ من معلم البشرية. فأي ثناء ستناله إجابة

---

(١) إذا كان الغرض من الموقف التعليمي التحفيز لا قياس المهارة والمعلومة؛ فينبغي أن يراعىٰ في مستواها قدرة المتعلم علىٰ الإجابة؛ ليتمكن المعلم من تحفيزه بعد أن يجيب بشكل صحيح.

بأفضل من هذا؟

الأسلوب الثالث: تقدير الذات. وذلك من خلال إظهار التقدير في تكنيته، والكنية عند العرب من باب التعظيم والتقدير والاحترام.

قال الشاعر:

أكنيه حين أناديه لأكرمه ** ولا ألقبه والسوءة اللقبا[1]

ويلاحظ قوة التحفيز وتأثيره عندما يقترن بسببه ولا يتأخر عنه[2].

وقد اختار النبي ﷺ السؤال المناسب للمتعلم، وكيف كرر عليه السؤال ليجيب الإجابة الصحيحة، ثم انظر كيف عززه بعدة أساليب، ولم يشبها بما ينغصها[3] فكَمُل التعزيز.

ومن هذا الباب قوله ﷺ في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قلت: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: **لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك؛ لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه، أو نفسه**»[4].

---

(١) شرح ديوان الحماسة ص: ٨٠٥. وقال: بعض الفزاريين.

(٢) وقد يناسب هنا ذكر المروي عن النبي ﷺ في سنن ابن ماجه برقم: ٢٤٤٣: «أعط الأجير أجره قبل أن يجف عرقه» والحديث له طرق لا تخلوا من ضعف والأصل في الحديث الحث على سرعة إعطاء الأجر لدفع التأثم بتأخيره، والاستئناس هنا لموافقة اللفظ.

(٣) بعض المعلمين يشجع ويحفز طلابه ولكنه يخلطها ببعض ما ينغصها كالاستهزاء، أو بعد الإجابة ينهر الطالب إذا أظهر فرحه بجوابه، أو يلقبه بلقب يحرجه ويجرحه أمام زملائه، أو يذكره بموقف قديم فشل فيه، فينغص عليه فرحته، وينقص التعزيز الذي ناله.

(٤) رواه البخاري برقم: ٩٩، ورقم ٦٥٧٠.

وفي حديث أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن أعرابيا عرض لرسول الله ﷺ وهو في سفر، فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها ثم قال: يا رسول الله، أو يا محمد، أخبرني بما يقربني من الجنة وما يباعدني من النار؟ قال: فكف النبي ﷺ ثم نظر في أصحابه ثم قال: لقد وفِّق أو لقد هدي قال: كيف قلت؟ قال: فأعاد، فقال النبي ﷺ: **تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم، دع الناقة**»[1].

فربي صل وسلم وبارك علىٰ خير الورىٰ محمد بن عبدالله وآله وزوجاته وصحابه الكرام.

❁ ❁ ❁

(١) رواه مسلم برقم: ١٣.

(٢)

التدرج في المعارف

عن أبي عبد الرحمن السلمي المقرئ قال: «حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ أنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرىٰ حتىٰ يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا: فعلمنا العلم والعمل»[١].

ونحو هذا ما ذكره جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة[٢]. فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن. فازددنا به إيمانا»[٣].

وهذا المنهج النبوي يستفاد منه التدرج في المعارف، وخاصة ما يكون في باب واحد وعلم واحد، فلا بد من بناء المعرفة بناء تراكميا، وهذا مبني علىٰ وعي المعلم بطريقة تركيب المعارف والمهارات وما يعتبر أساسا للآخر.

وفي حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما بعث النبي ﷺ معاذا نحو اليمن قال له: **«إنك تقدم علىٰ قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلىٰ أن يوحدوا الله تعالىٰ، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم، تؤخذ من غنيهم فترد علىٰ**

---

(١) مسند أحمد: ٥/ ٤١٠. قال الأرناؤوط: «إسناده حسن» تحقيق المسند ط الرسالة: ٣٨/ ٤٦٦.

(٢) (حزاورة) جمع الحزور وهو الغلام إذا اشتد وقوي وحزم، وقيل إذا قارب البلوغ. انظر شرح ابن ماجة للسندي: ١/ ٣١.

(٣) سنن ابن ماجه برقم: ٦١ قال البوصيري: إسناد هذا الحديث صحيح. رجاله ثقات. المصباح: ١/ ٥٠. وصححه الألباني. ورواه البيهقي في السنن الكبرىٰ: ٣/ ١٢٠ وزاد فيه: «.. وإنكم اليوم تعلمون القرآن قبل الإيمان».

فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس»[١].

وقد يؤخذ من بعض النصوص عدم تزاحم المواد، بل يركز الطالب علىٰ نوع واحد أو نوعين من المعارف، ويحصل فيهما تحصيلا كاملا، ثم ينتقل لغيره من العلوم، وقد كانت المدارس الإسلامية قديما فيها شيء من هذا.

ولو قيل بأن الصحابة كانوا يتعلمون من النبي ﷺ كَمًّا كبيرا من المعلوم والمعارف بالمخالطة، مما يعني عدم تميز تلك المعارف والعلوم كل علم بمفرده، لكان هذا وجيها.

فمثل هذه الإشكالات ينبغي أن تقام لها الدراسات التربوية المتكاملة مع الاستفادة من تجارب سلفنا في حواضر العالم الإسلامي ومعرفة مناهجهم في التعليم، لإصدار توصيات بالعمل بأي من الطريقتين، ولو جربت الطريقتان مع الدراسة لنتائجهما لكان أصدق وأدق في الحكم.

❀ ❀ ❀

(١) رواه البخاري برقم: ٧٣٧٢، ومسلم برقم ١٩.

(٣)

جذب الانتباه بالتكرار

عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن رسول الله ﷺ خرج بالناس قبل غزوة تبوك، فلما أن أصبح صلىٰ بالناس صلاة الصبح، ثم إن الناس ركبوا، فلما أن طلعت الشمس نعس الناس علىٰ أثر الدلجة، ولزم معاذ رسول الله ﷺ يتلو أثره، والناس تفرقت بهم ركابهم علىٰ جواد الطريق تأكل وتسير، فبينما معاذ علىٰ أثر رسول الله ﷺ وناقته تأكل مرة وتسير أخرىٰ عثرت ناقة معاذ، فكبحها بالزمام، فهبت حتىٰ نفرت منها ناقة رسول الله ﷺ، ثم إن رسول الله ﷺ كشف عنه قناعه، فالتفت فإذا ليس من الجيش رجل أدنىٰ إليه من معاذ، فناداه رسول الله ﷺ فقال: يا معاذ. قال: لبيك يا نبي الله. قال: ادن دونك. فدنا منه حتىٰ لصقت راحلتاهما إحداهما بالأخرىٰ، فقال رسول الله ﷺ: ما كنت أحسب الناس منا كمكانهم من البعد. فقال معاذ: يا نبي الله نعس الناس، فتفرقت بهم ركابهم ترتع وتسير. فقال رسول الله ﷺ: وأنا كنت ناعسا. فلما رأىٰ معاذ بشرىٰ رسول الله ﷺ إليه وخلوته له قال: يا رسول الله، ائذن لي أسألك عن كلمة قد أمرضتني وأسقمتني وأحزنتني. فقال نبي الله ﷺ: سلني عم شئت. قال: يا نبي الله، حدثني بعمل يدخلني الجنة لا أسألك عن شيء غيرها. قال نبي الله ﷺ: بخ بخ بخ لقد سألت بعظيم، لقد سألت بعظيم، ثلاثا، وإنه ليسير علىٰ من أراد الله به الخير، وإنه ليسير علىٰ من أراد الله به الخير، وإنه ليسير علىٰ من أراد الله به الخير، فلم يحدثه بشيء إلا قاله له ثلاث مرات يعني أعاده عليه ثلاث مرات؛ حرصا لكي ما يتقنه عنه، فقال نبي الله ﷺ: تؤمن بالله واليوم الآخر، وتقيم الصلاة، وتعبد الله وحده لا تشرك به شيئا حتىٰ تموت، وأنت علىٰ ذلك فقال:

يا نبي الله، أعد لي فأعادها له ثلاث مرات»[١].

في الحديث فوائد ولطائف تعليميه كثيرة نتكلم فيما دل علىٰ الترجمة ونشير للبقية.

أحاديث كثيرة يكرر فيها النبي ﷺ حديثه ويكون تكراره لفوائد مختلفة[٢]، وهنا سنتكلم علىٰ فائدة التكرار لجذب انتباه المتعلم، و تثبيت المعلومة لديه، وهذا ظاهر في حديثنا، ففي الثناء علىٰ السؤال، وتكرار الثناء، جذب وتحفيز لسماع الإجابة، وفي تكرار وإعادة الإجابة تأكيد لها، وهذ نص عليه في قوله: «فلم يحدثه بشيء إلا قاله له ثلاث مرات، يعني أعاده عليه ثلاث مرات؛ حرصا لكي ما يتقنه عنه».

ومن أساليب الجذب بالتكرار جذب الانتباه قبل البدأ بطرح المعلومة كما في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن النبي ﷺ ومعاذ رديفه علىٰ الرحل قال: يا معاذ بن جبل قال: لبيك يا رسول الله وسعديك قال: يا معاذ قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثا، قال: ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه، إلا حرمه الله علىٰ النار. قال: يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: إذاً يتكلوا، وأخبر بها معاذ عند موته تأثما»[٣].

---

(١) مسند أحمد: ٥/ ٢٤٥) قال الأرناؤوط: «الحديث من سؤال معاذ إلىٰ آخره صحيح بطرقه وشواهده دون قوله: «ما شحب وجه.. إلخ» فإنه حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف شهر بن حوشب. مسند أحمد ط الرسالة (٣٦/ ٤٣٥) قال الهيثمي: رواه أحمد والبزار والطبراني باختصار وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف وقد يحسن حديثه. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ٥/ ٢٧٤.

(٢) انظر مقال: التكرار في الحديث النبوي وفوائده التعليمية للمؤلف:

http: //www.alukah.net/sharia/٠ /٩٩٣٠٥/.

(٣) رواه البخاري برقم ١٢٨، ومسلم برقم ٣٢.

ومن أساليب التكرار التي فعلها النبي ﷺ لتأكيد المعلومة وجذب الانتباه؛ تكراره بالفعل فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ في نخل لبعض أهل المدينة، فقال: يا أبا هريرة، هلك المكثرون، إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا ثلاث مرات: حثا بكفيه عن يمينه وعن يساره وبين يديه وقليل ما هم»[1].

وهذا الأسلوب يَنبغي التنبه عند ممارسته؛ لأنَّ الأصل عند تكرار الكلام ملل المستمع، فلا بدَّ لمن احتاج لتطبيقه أن يحذَرَ مِن هذا، وينبغي أن يُمارسه بوعي للهدف منه لا لمجرد ملء الفراغ، ويختار الوقت والظرف المناسبين ويُمارسه بالقدر الذي يحقِّق الغرض.

فأجل وأوفر صلاة وسلام علىٰ حبيبنا المصطفىٰ وعلىٰ آلة وصحابته الغر الميامين.

❁ ❁ ❁

(١) رواه أحمد: ٢/ ٣٠٩.

(٤)

استخدام الجسد في التعليم

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن رسول ﷺ جمَع أصابعه فوضعَها علىٰ الأرض، فقال: هذا ابن آدم، ثم رفعها فوضَعها خلف ذلك قليلًا، وقال: هذا أَجَلُه، ثم رمىٰ بيده أمامه قال: وثَم أمله»[1].

جَسَّد النبي ﷺ في هذا الحديث فكرة طول الأمل عند الإنسان مع عمره القصير بحركة يده، ولا شك في أن هذا الأسلوب يقرب الفكرة المجردة، ويجذب انتباه السامع لحركة اليد، ويرسخ المفهوم من خلال تجسيده في صورة متحركة واقعية.

وقد كنت كتبت مقالا بعنوان: **لغة الجسد في التعليم النبوي في المواقع الإلكترونية**. أنقله لمناسبة المقام.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ المبعوث رحمة وهدًىٰ للعالمين؛ قال ﷺ: «**إن الله لم يبعثني معنتًا ولا متعنتًا، ولكن بعثَني معلِّمًا ميسرًا**»[2].

وقد بلَغ عليه صلوات ربي وسلامه الغايةَ في الكمال البشري في تعليمه.

وسنتطرق في هذه المقال إن شاء الله تعالىٰ لأسلوبٍ وجانبٍ واحد من الأساليب النبوية في التعليم، ألا وهو لغة الجسد، وسيكون البحث من خلال ما جمعه صاحب

---

(١) رواه أحمد: ٣/ ١٢٣. قال الأرناؤوط: «إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة، فمن رجال مسلم». مسند أحمد ط الرسالة (١٩/ ٢٦٧)، وقريب من لفظه رواه الترمذي برقم: ٢٣٣٤. وقال: «هذا حديث حسن صحيح». والحديث له ألفاظ أخرىٰ في الصحيحين وغيرهما.

(٢) رواه مسلم برقم: ١٤٧٨.

كتاب «**الوسائل التعليمية في السنة النبوية، مسند الإمام أحمد نموذجًا**» فهد بن إبراهيم الفعيم؛ حيث قسم رسالته إلىٰ قسمين:

* **استخدام الجسم وأجزائه كوسيلة تعليمية.**

* **استخدام الجمادات وما في حكمها كوسيلة تعليمية.**

ومَن قرأ الرسالة ظهر له جليًّا حجم عناية النبي ﷺ واستخدامه للُغة الجسد في تعليمه وتوجيهاته.

والرسالة جمعَت المادة مع تعليقات تربوية نافعة من قِبل المؤلف وفقه الله، فأحببت في هذا المقال القيامَ **بأمرين**:

تسليط الضوء علىٰ هذا الجانب.

والأمر الثاني: تصنيف ما ورد في استخدام جسده الطاهر للتعليم؛ وفق المجال الذي تم استخدام الجسد فيه.

فأقول وبالله التوفيق: ما ورد في رسالة الفعيم من الأحاديث **يمكن تصنيفه إلىٰ خمسة أنواع، وهي**:

الأول: استخدام لغة الجسد؛ لتوضيح فكرة غير واضحة.

الثاني: استخدام لغة الجسد؛ لترسيخ وتوكيد فكرة ومفهوم واضح، من باب التأكيد والتثبيت.

الثالث: استخدام لغة الجسد كوسيلة مستقلة؛ لتوصيل الفكرة أو بعض أجزائها.

الرابع: استخدام لغة الجسد بالتطبيق العمَليِّ للفكرة والمفهوم.

الخامس: استخدام لغة الجسد؛ لجذب انتباه المستمع لما سيطرح.

وإليك الأنواع بأمثلتها:

النوع الأول: استخدام لغة الجسد لتوضيح فكرة غير واضحة:

١- قال النبي ﷺ: «**يُقبَض العلم ويَظهر الجهل والفتن، ويَكثر الهرج**. قيل: يا رسول الله، وما الهرج؟ فقال: هكذا بيده، فحَرفَها؛ كأنه يريد القتل»[(١)].

٢- أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء: ٥٨]، «قال: رأيتُ رسول الله ﷺ يضع إبهامه علىٰ أذنِه والتي تَليها علىٰ عينه، قال أبو هريرة: رأيت رسول الله ﷺ يقرؤها ويضع إصبَعيه. قال ابن يونس: قال المقري: يعني أن الله سميعٌ بصير؛ يعني أنَّ لله سمعًا وبصرًا»[(٢)].

٣- قال الإمام أحمدُ: «حدثنا يزيدُ بن هارون، أخبرنا شعبة، قال: سمعتُ سوادة القشيريَّ يحدِّث عن سَمُرة بن جُندب، عن النبي ﷺ أنه قال: **لا يغرنكم أذان بلال، ولا هذا الفجر المستطيل، ولكن الفجر المستطير، وأومَأ بيده هكذا، وأشار يزيدُ بيده اليمنىٰ**»[(٣)].

٤- عن أبيِّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ في قصة الخضر مع موسىٰ عليهما السلام: «فإذا جدارٌ يريد أن ينقضَّ فأقامه، قال بيديه فرفَعهما رفعًا»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري برقم: ٨٥.

(٢) رواه أبو داود برقم: ٤٧٢٨.

(٣) رواه أحمد: ٥/ ١٨.

(٤) رواه أحمد: ٥/ ١١٧.

النوع الثاني: استخدام لغة الجسد لترسيخ وتوكيد فكرة ومفهوم واضح:

١-عن الفضل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قال رسول الله ﷺ عشيةَ عرفة، غَداةَ جمع للناس حين دفَعنا: عليكم السكينة، وهو كافٌّ ناقتَه، حتىٰ إذا دخل مِنًىٰ حين هبط مُحسِّرًا، قال: عليكم بحَصىٰ الخَذْف الذي يُرمىٰ به الجمرة، ورسولُ الله ﷺ يُشير بيده كما يَخذِف الإنسان». (١).

٢- عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلًا من أهل البادية سأل رسولَ الله ﷺ عن صلاة الليل، فقال بإصبعَيه: مثنىٰ مثنىٰ، والوتر ركعة من آخر الليل». (٢).

٣- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قال رسول الله ﷺ: لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسىٰ ابن مريم، قال: وكان من بني إسرائيل رجل عابد يُقال له: جريج، فابتنىٰ صومعة وتعبد فيها، قال: فذكَر بنو إسرائيل يومًا عِبادة جريج، فقالت بَغيٌّ منهم: لئن شِئتم لأفتِننَّه! فقالوا: قد شِئنا، قال: فأتته فتعرَّضَت له، فلم يلتفت إليها، فأمكنَت نفسها من راعٍ كان يُؤوي غنمَه إلىٰ أصل صومعة جُريج، فحملَت، فولدَت غلامًا، فقالوا: ممَّن؟ قالت: مِن جريج. فأتَوه فاستنزَلوه، فشتموه وضربوه، وهدَموا صومعته، فقال: ما شأنكم؟! قالوا: إنك زنيتَ بهذه البغي، فولدَت غلامًا. قال: وأين هو؟ قالوا: ها هو ذا. قال: فقام فصلىٰ ودعا، ثم انصرف إلىٰ الغلام فطعَنه بإصبَعه، وقال: بالله يا غلام، مَن أبوك؟ قال: أنا ابن الراعي! فوثبوا إلىٰ جُريج فجَعلوا يُقبِّلونه، وقالوا: نبني صومعتك من ذهب. قال: لا حاجة لي في ذلك، ابنوها من طين كما كانت. قال: وبينما امرأةٌ في حجرها ابنٌ لها ترضعه، إذ مرَّ بها راكب ذو شارة، فقالت: اللهم اجعل ابني مثل هذا. قال: فترَك ثديها، وأقبل علىٰ الراكب فقال: اللهم لا

---

(١) رواه مسلمٌ برقم: ١٢٨٢، وأحمد: ١/ ٢١- و٢١٣ واللفظ له.

(٢) رواه أحمد: ٢/ ١٠٠.

تجعلني مِثله. **قال: ثم عاد إلىٰ ثديها يمَصُّه؛ قال أبو هريرة: فكأني أنظرُ إلىٰ رسول الله ﷺ يحكي علَيَّ صنيع الصبي ووضْعَه إصبعَه في فمه، فجعل يمصها.** ثم مر بأمة تُضرب، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثلها. قال: فترك ثديها، وأقبل علىٰ الأمة فقال: اللهم اجعلني مثلها. قال: فذلك حين تراجَعا الحديث، فقالت: حَلْقىٰ! مر الراكب ذو الشارة فقلتُ: اللهم اجعل ابني مثله، فقلتَ: اللهم لا تجعلني مثله، ومُرَّ بهذه الأمة فقلتُ: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فقلتَ: اللهم اجعلني مثلها! فقال: يا أمَّتاه إن الراكب ذا الشارة جبَّار من الجبابرة، وإن هذه الأمَة يقولون: زنَت، ولم تزنِ، وسرقَت، ولم تسرق، وهي تقول: حسبي الله»[1].

وفي رواية عند أحمد[2]: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان جريجٌ يتعبَّد في صومعته، قال: فأتته أمه، فقالت: يا جريج، أنا أمك، فكلِّمني، قال: «**وكان أبو هريرة يصِف كما كان رسول الله ﷺ يصفُها، وضَع يده علىٰ حاجبه الأيمن...**».

٤- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ضرب رسول الله ﷺ مثَل البخيل والمتصدق كمثَل رجلين عليهما جُبَّتان من حديد قد اضطرَّت أيديهما إلىٰ ثُديِّهما وتراقيهما، فجعل المتصدِّق كلما تصدق بصدقةٍ انبسطَت عنه حتىٰ تَغشىٰ أناملَه وتعفوَ أثرَه، وجعل البخيلُ كلما همَّ بصدقة قلَصَت وأخذَت كل حلقة بمكانها»؛ قال أبو هريرة: «**فأنا رأيتُ رسول الله ﷺ يقول بإصبعه هكذا في جيبه، فلو رأيتَه يوسِّعها، ولا تتوسَّع!**»[3].

٥- عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن رسول ﷺ جمَع أصابعه فوضعَها علىٰ الأرض، فقال: هذا ابن آدم، ثم رفعها فوضَعها خلف ذلك قليلًا، وقال: هذا أجَلُه، ثم

---

(١) رواه أحمد: ٢/ ٣٠٧.

(٢) المسند: ٢/ ٤٣٣.

(٣) متفق عليه رواه البخاري برقم: ٥٧٩٧، ومسلم برقم: ١٠٢١.

رمىٰ بيده أمامه قال: وثَم أمله»[١].

٦- قال عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: تدنو الشمس من الأرض فيَعْرق الناس، فمِن الناس مَن يبلغ عرقُه عقبَيْه، ومنهم مَن يبلغ إلىٰ نصف الساق، ومنهم من يبلغ إلىٰ ركبتيه، ومنهم من يبلغ العَجُز، ومنهم من يبلغ الخاصرة، ومنهم من يبلغ منكبيه، ومنهم من يبلغ عنقه، ومنهم من يبلغ وسطَ فيه - وأشار بيده فألجَمها فاه: رأيتُ رسول الله ﷺ يشير هكذا - ومنهم من يغطِّيه عرقه، وضرَب بيده إشارةً»[٢].

٧- عن المستورِد بن شداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قال رسول الله ﷺ: ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم إصبَعه هذه في اليم، فلينظر بما يرجع، وأشار بالسبابة»[٣].

٨- بعد أن عدَّ النبيُّ ﷺ عددًا من أسباب دخول الجنة قال لمعاذِ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ألا أخبرك بمِلاكِ ذلك كلِّه؟ فقلت له: بلىٰ يا نبي الله، فأخَذ بلسانِه، فقال: كفَّ عليك هذا، فقلتُ: يا رسول الله، وإنَّا لمؤاخَذون بما نتكلم به؟! فقال: ثكلتك أمُّك يا معاذ! وهل يَكبُّ الناسَ في النار علىٰ وجوههم - أو قال: علىٰ مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم؟!»[٤].

٩- قال طارق بن الأشيم الأشجعي: «حدثني أبي أنَّه سمع رسول الله ﷺ وإذا أتاه الإنسانُ يسأله قال: يا نبيَّ الله، كيف أقول حين أسأل ربي؟ قال: قل: اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني، وقبَض كفَّه إلا الإبهام وقال هؤلاء يجمعن لك خير

---

(١) رواه أحمد: ٣/ ١٢٣.

(٢) رواه أحمد: ٤/ ١٥٧.

(٣) رواه أحمد: ٤/ ٢٢٨.

(٤) رواه أحمد: ٥/ ٢٣١.

دنياك وآخرتك»[١].

وفي رواية عن عبدالله بن أبي أوفىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أتىٰ رجلٌ النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إني لا أقرأ القرآن، فمُرني بما يُجزِئني منه، فقال له النبي ﷺ: قل: الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله. قال: فقالها الرجل، وقبض كفه، وعد خمسًا مع إبهامه، فقال: يا رسول الله، هذا لله تعالىٰ فما لنفسي؟ قال: قل: اللهم اغفر لي وارحمني، وعافني واهدني، وارزقني. قال: فقالها: وقبض علىٰ كفه الأخرىٰ، وعد خمسًا مع إبهامه، فانطلق الرجل وقد قبض كفيه جميعًا، فقال النبي ﷺ: لقد ملأ كفيه من الخير»[٢].

١٠- قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كأني أنظر إلىٰ النبي ﷺ يحكي نبيًّا من الأنبياء، ضربه قومه فأدمَوه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[٣].

١١- عن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أن النبي ﷺ اتخذ خاتمًا من ذهب، فجعله في يمينه، وجعل فصَّه مما يلي باطن كفه، فاتخذ الناس خواتيم الذهب، قال: فصعد رسول الله ﷺ المنبر، فألقاه، «ونهىٰ عن التختُّم بالذهب»[٤].

وهذا النوع والذي يَليه مِن أكثرِها تطبيقًا فيما ورد في الكتاب.

---

(١) رواه أحمد: ٦/ ٣٩٤.

(٢) رواه أحمد: ٤/ ٣٨٢.

(٣) رواه البخاري برقم: ٣٤٧٧ و٦٩٢٩، ومسلم برقم ١٧٩٢.

(٤) رواه أحمد: ٢/ ١٥٣.

النوع الثالث: استخدام لغة الجسد كوسيلة مستقلة لتوصيل الفكرة أو بعض أجزائها:

١- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال أبو القاسم ﷺ: «**في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلمٌ وهو قائم يصلي يسأل خيرًا إلا أعطاه، وقال بيده؛ قلنا: يُقلِّلها يزهِّدها**»(١).

٢- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بُعثت أنا والساعة كهاتين قال: وضم السبَّابة والوسطىٰ**»(٢).

٣- عن سفيان الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يا رسول الله، أخبرني بأمرٍ في الإسلام لا أسأل عنه أحدًا بعدك، قال: «**قل: آمنتُ بالله، ثم استقم. قال: يا رسول الله، فأيَّ شيء أتَّقي؟ قال: فأشار بيده إلىٰ لسانه**»(٣).

٤- قال أبو قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسول الله ﷺ يقول علىٰ المِنبر للأنصار: «**ألا إنَّ الناس دثاري، والأنصار شعاري، لو سلك الناس واديًا وسلكَت الأنصارُ شعبة لاتبعتُ شعبة الأنصار، ولولا الهجرةُ لكنت رجلًا من الأنصار، فمن وَلي من الأنصار فليُحسن إلىٰ مُحسنِهم، وليتجاوز عن مُسيئهم، ومن أفزعهم فقد أفزع هذا الذي بين هاتَين وأشار إلىٰ نفسِه**»(٤).

٥- عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرَّة المدينة عشاءً ونحن ننظر إلىٰ أُحُد، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا أبا ذر**» قال: قلتُ: لبيك يا رسول الله، قال: «**ما أحبُّ أن أُحُدًا ذاك عندي ذهب، أَمْسىٰ ثالثةً عندي منه دينار، إلا دينارًا**

---

(١) متفق عليه. البخاري برقم: ٦٤٠٠، ومسلم برقم: ٨٥٢.

(٢) رواه مسلم برقم: ٢٩٥١.

(٣) رواه أحمد: ٣/ ٤١٣.

(٤) رواه أحمد: ٥/ ٣٠٧.

أَرصُده لدَين، إلاَّ أن أقول به في عباد الله: هكذا - حثا بين يديه - وهكذا - عن يمينه - وهكذا -عن شماله، قال: ثم مشَينا فقال: يا أبا ذر، قال: قلت: لبيك يا رسول الله، قال: إن الأكثرين هم الأقلُّون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا مثلَما صنع في المرة الأولىٰ»[١].

ورُوي نحوُه مع أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مما يشير لتَقصُّد هذا الأسلوب للتعليم[٢].

٦- عن أبي عثمان قال: «كتب إلينا عمرُ ونحن بأذربيجان: أن النبي ﷺ نهىٰ عن لبس الحرير إلا **هكذا**»؛ وصف لنا النبي ﷺ **إصبعيه**، ورفَع زهير الوسطىٰ والسبابة»[٣].

٧- عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قال رسول الله ﷺ: مَن عال جاريتين حتىٰ تبلُغا جاء يوم القيامة **أنا وهو، وضم أصابعه**»[٤].

٨- عن سهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة **هكذا، وأشار بالسبابة والوسطىٰ، وفرَّج بينهما شيئًا**»[٥].

٩- عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ أنه قال: «إنا أمة أميَّة لا نكتب، ولا نحسب؛ الشهر **هكذا وهكذا**؛ يعني: مرة تسعة وعشرين، ومرة ثلاثين»[٦].

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري برقم: ٦٦٣٨، ومسلم برقم: ٩٩٠. واللفظ لمسلم.

(٢) رواه أحمد: ٢/ ٣٠٩ ولفظه: «عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ في نخل لبعض أهل المدينة، فقال: يا أبا هريرة، هلك المكثرون، إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا ثلاث مرات: حثا بكفيه عن يمينه وعن يساره وبين يديه وقليل ما هم».

(٣) متفق عليه. رواه البخاري برقم: ٥٨٢٩، ومسلم برقم ٢٠٦٩.

(٤) رواه مسلم برقم ٢٦٣١.

(٥) رواه البخاري برقم ٥٣٠٤.

(٦) متفق عليه. رواه البخاري برقم: ١٩١٣، ومسلم برقم: ١٠٨٠.

١٠- عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**أخذ رسول الله ﷺ بعضَلةِ ساقي** - أو بعضَلةِ ساقه - قال: فقال: الإزار هاهنا، فإن أبيتَ فهاهنا، فإن أبيت فهاهنا، فإن أبيتَ فلا حقَّ للإزار في الكعبين، أو: لا حقَّ للكعبين في الإزار»[١].

١١- عن ابن عمر، عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «قال: لا أعلمه إلا رفعه قال: يقول الله تبارك وتعالىٰ: مَن تواضع لي هكذا، وجعل يَزيد باطنَ كفِّه إلىٰ الأرض، وأدناها إلىٰ الأرض رفعتُه هكذا، وجعل باطن كفه إلىٰ السماء، ورفعها نحو السماء»[٢].

وهذا النوع كسابقه يَكثر وجوده في الأحاديث، فيُكتفىٰ منه بهذا القدر، ويَكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

النوع الرابع: استخدام لغة الجسد بالتطبيق العملي للفكرة والمفهوم:

١- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أن النبي ﷺ رأىٰ نُخامة في القبلة، فشقَّ ذلك عليه حتىٰ رُئي في وجهه! فقام فحكَّه بيده، فقال: إن أحدكم إذا قام في صلاته، فإنه يناجي ربه -أو: إن ربه بينه وبين القبلة - فلا يَبزُقنَّ أحدكم قِبَل قبلتِه، ولكن عن يساره، أو تحت قدميه، **ثم أخذ طرف ردائه، فبصق فيه، ثم رد بعضه علىٰ بعض، فقال: أوْ يفعل هكذا**»[٣].

٢- جاء رجل إلىٰ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: «إني أجنبتُ فلم أُصِب الماء، فقال عمار بن ياسر لعمر بن الخطاب: أمَا تذكر أنَّا كنا في سفر أنا وأنت فأما أنت فلم تصلِّ، وأما أنا فتمعَّكتُ فصليت، فذكرتُ للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ: إنما كان يكفيك هكذا فضرب النبي ﷺ بكفَّيه الأرضَ ونفخ فيهما، ثم مسح بهما وجهه وكفَّيه»[٤].

---

(١) رواه أحمد: ٥/ ٣٩٦. و٥/ ٣٨٢.

(٢) رواه أحمد: ١/ ٤٤.

(٣) رواه البخاري برقم: ٤٠٥ و٤١٧.

(٤) متفق عليه رواه البخاري برقم: ٣٣٨.، ومسلم برقم ٣٦٨.

٣- حدث عمرو بن يحيىٰ، عن أبيه، قال: «كان عمي يُكثر من الوضوء، قال لعبدالله بن زيد: أخبرني كيف رأيتَ النبي ﷺ يتوضأ؟ فدعا بتَورٍ من ماء فكفَأ علىٰ يديه، فغسَلهما ثلاثَ مِرار، ثم أدخل يدَه في التَّور، فمضمض واستنثر ثلاث مرات من غَرفة واحدة، ثم أدخل يده فاغترف بها، فغسل وجهه ثلاث مرات، ثم غسل يديه إلىٰ المرفقين مرَّتين مرتين، ثم أخذ بيده ماءً فمسح رأسه، فأدبر بيديه وأقبل، ثم غسل رجليه فقال: هكذا رأيت النبيَّ ﷺ يتوضأ»[1].

٤- عن إبراهيم بن عبد الله بن حنين، عن أبيه«أن عبدالله بن العباس والمِسْورَ بن مخرمة اختَلفا بالأبواء، فقال عبدالله بن عباس: يغسل المحرم رأسه، وقال المسور: لا يغسل المحرم رأسه، فأرسلني عبدالله بن العباس إلىٰ أبي أيوب الأنصاري فوجدته يغتسل بين القرنين وهو يستر بثوب، فسلمتُ عليه، فقال: من هذا؟ فقلت: أنا عبدالله بن حنين، أرسلني إليك عبدالله بن العباس أسألك: كيف كان رسول الله ﷺ يغسل رأسه وهو محرم؟ فوضع أبو أيوب يده علىٰ الثوب، فطأطأه حتىٰ بدا لي رأسُه، ثم قال لإنسانٍ يصب عليه: اصبُب، فصبَّ علىٰ رأسه ثم حرك رأسه بيديه، فأقبل بهما وأدبر وقال: «هكذا رأيته ﷺ يفعل»[2].

النوع الخامس: استخدام لغة الجسد لجذب انتباه المستمع لما سيطرح أو طرح:

أي إن الإشارة لا تدل علىٰ المعنىٰ؛ بل المقصود منها لفتُ انتباه الموجودين وتركيزِهم لما سيُقال فقط.

١- ذكَر النبي ﷺ للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ما جرىٰ من قتل قادة المسلمين في غزوة مؤتة، ثم قال: «ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء؛ هو أمَّرَ نفسه.

---

(١) رواه البخاري برقم: ١٩٩.

(٢) رواه البخاري برقم: ١٨٤٠.

فرفَع رسول الله ﷺ أصبعيه وقال: اللهم هو سيف من سيوفك فانصُره»[١].

وهذا الرفع إما للدعاء أو لجذب الانتباه، وإن كان للدعاء فقد حقَّق الغاية مِن جذب الانتباه؛ ولذلك ذكَره راوي الحديث.

٢- عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته واشتد غضبه، حتىٰ كأنه منذِرُ جيش يقول: صبَّحَكم ومساكم. ويقول: بُعثتُ أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطىٰ»[٢].

من خلال هذا العرض يظهر جليًّا أن استخدام لغة الجسد وتصوير الأفكار والمفاهيم من خلال الجسد لم يكن حدثًا عارضًا في تعليم النبي ﷺ بل عملًا مقصودًا؛ بدلالة كثرته وتنوُّعه.

كما يلاحَظ أيضًا أثرُه علىٰ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، الذي ظهر جليًّا في حكايتهم له واهتمامهم بذِكره في الحديث؛ مما يدل علىٰ قوة تأثيره عليهم.

فصلىٰ الله علىٰ مُعلِّم الناس الخير، وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين. وهذا آخر المقال[٣].

فهذا الاستخدام المتنوع في مواقف مختلفة يشير وبقوة إلىٰ تعمد النبي ﷺ استخدام هذا الأسلوب لتوصيل الأفكار والمفاهيم والمهارات للصحابة رضوان الله عليه.

---

(١) رواه أحمد: ٥/ ٢٩٩.

(٢) رواه مسلم برقم: ٨٦٧.

(٣) انظر مقال: لغة الجسد في التعليم النبوي للمؤلف:
/http: //www.alukah.net/social/٠/٩٥٧٤٩

(٥)

استخدام الرسومات

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خط أربعة خطوط، ثم قال: أتدرون لم خططت هذه الخطوط؟ قالوا: لا. قال: أفضل نساء الجنة أربع: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة ابنة محمد، وآسية ابنة مزاحم»[1].

استخدام الرسومات في إيصال الفكرة يساعد في عدة جوانب تربوية للمتعلم:

الأولىٰ: جذب الانتباه. فحركة الرسم مع الشرح الصوتي تجذب المتعلم أكثر من مجرد الصوت.

الثانية: تلقي المتعلم المعلومة بأكثر من حاسة يساعد في تثبيت المعلومة بشكل أقوىٰ.

الثالثة: تحويل المعنىٰ لمحسوس أو شبه محسوس يساعد في تذكر المعنىٰ المجرد، فرسم الخطوط الأربعة يساعد في تذكر عدد الشخصيات التي في الحديث، مما يساعد في تذكر نفس الشخصيات.

ومن استخدام النبي ﷺ لهذا الأسلوب ما رواه أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**خطَّ النبيُّ ﷺ خطوطًا، فقال: هذا الأملُ، وهذا أجلُه، فبينما هو كذلك إذ جاءَه الخط الأقرب**»[2].

---

(١) مسند أحمد: ١/ ٣٢٢.

(٢) صحيح البخاري برقم: ٦٤١٨.

وفي نفس الفكرة ما رواه عبدِالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خطَّ النبي ﷺ خطًّا مربعًا، وخطَّ خطًّا في الوسط خارجًا منه، وخطَّ خُطَطًا صغارًا إلىٰ هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: هذا الإنسانُ، وهذا أجلُه مُحيطٌ به -أو قد أحاط به- وهذا الذي هو خارجٌ أملُه، وهذه الخُطَط الصِّغار الأعراضُ، فإن أخطأه هذا نهَشَه هذا، وإن أخطأه هذا نهَشَه هذا»[1].

اختلافُ ألفاظِ الحديث يحتملُ أنه تنوُّع في الرَّسْمة، ويحتملُ أنها واحدةٌ اختلفَتْ باختلافِ التعبير عنها؛ ولذلك رَسَمها العلماءُ بصور مختلفة، نقلها ابن حجر رحمه الله تعالىٰ في فتح الباري:

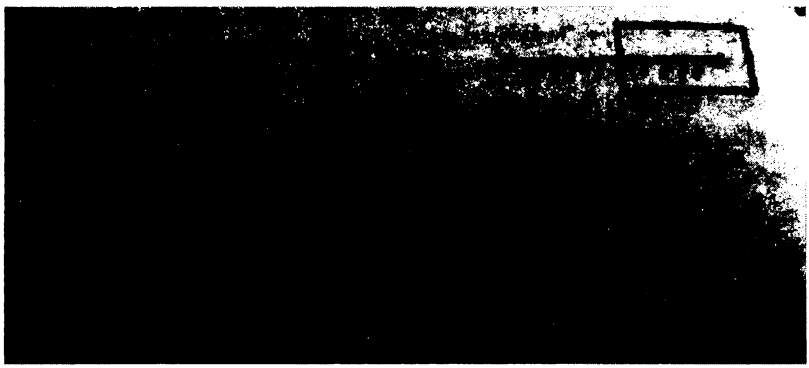

فإن قيل بتعدد الرَّسمات من النبيِّ ﷺ فهذا فيه توضيحُ الفكرة رسمًا بعدَّة صور؛ لتسهيلِ وصول الفكرة.[2].

و عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا جلوسا عند النبي ﷺ فخط خطا هكذا أمامه، فقال: هذا سبيل الله، وخطين عن يمينه، وخطين عن شماله قال: هذه سبيل الشيطان،

---

(١) صحيح البخاري برقم: ٦٤١٧.

(٢) انظر مقال: التكرار في الحديث النبوي وفوائده التعليمية للمؤلف

http: //www.alukah.net/sharia/٠ /٩٩٣٠٥ . /

ثم وضع يده في الخط الأوسط، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»[1].

خير صلاة وأزكىٰ سلامىٰ علىٰ الهادي الإمام.

❁ ❁ ❁

(١) مسند أحمد: ٣/ ٣٩٧. قال الأرناؤوط: حسن لغيره. مسند أحمد ط الرسالة (٢٣/ ٤١٨). قال البوصيري: هذا إسناد فيه مقال. مصباح الزجاجة: ١/ ٤٤.

(٦)

التمكن من التخصص

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده «أن رسول الله ﷺ قال: من تطبب ولا يعلم منه طب فهو ضامن»[١].

وضمانه هنا لتفريطه ما يجب عليه وهو إتقان الصنعة، وهذا ينطبق علىٰ التعليم.

وقد حث النبي ﷺ علىٰ اتقان الصنعة فيما روي عنه أنه قال: «إن اللّه يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»[٢].

---

(١) رواه أبو داود برقم: ٤٥٨٨. قال أبو داود: «هذا لم يروه إلا الوليد، لا ندرىٰ هو صحيح أم لا؟». وابن ماجة برقم: ٣٤٦٦. وحسنه الألباني. والحديث في السنن الكبرىٰ للبيهقي: ٨/ ١٤١، والمستدرك للحاكم [٤/ ٢١٢] وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» وقال الذهبي: صحيح. قال في الإلمام بأحاديث الأحكام (ص: ٣٢٥): «وقال أبو داود هذا لم يروه إلا الوليد لا ندري هو صحيح أو لا؟ أهـ قلت: هو الوليد بن مسلم يدلس تدليس التسوية، وشيخه ابن جريج يدلس وقد عنعن ولم يسنده عن ابن جريج غيره، وله شاهد رواه أبو داود مرسلاً من طريق عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز حدثني الوفد الذين قدموا علىٰ أبي قال: قال رسول الله ﷺ فذكره بنحوه قلت: وهذا الجمع من التابعين قد تنجبر بهم الجهالة بأعيانهم والله أعلم».

(٢) رواه أبو يعلىٰ في المسند: ٧/ ٣٤٩. قال البوصيري: هذا إسناد ضعيف، لضعف مصعب بن ثابت. انظر: مختصر اتحاف السادة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٥/ ٢٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٤/ ٩٨ رواه أبو يعلىٰ، وفيه مصعب بن ثابت وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة. وروي معناه عند البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٣٥) عن عاصم بن كليب الجرمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فذكر: «أنه شهد مع أبيه جنازة شهدها رسول الله ﷺ وأنا غلام أعقل وأفهم، فانتهىٰ بالجنازة إلىٰ القبر ولم يمكن لها، قال فجعل رسول الله ﷺ يقول: «سووا لحد هذا» حتىٰ ظن الناس أنه سنة، فالتفت إليهم، فقال: «أما إن هذا لا ينفع الميت ولا يضره، ولكن الله يحب من العامل إذا عمل أن يحسن». قال العجلوني: «فقد جزم أبو حاتم والبخاري وآخرون بأن كليبا تابعي، وكذا ذكره أبو زرعة وابن سعد وابن حبان في ثقات التابعين فذكر ابن عبد البر وغيره له في الصحابة فيه نظر». كشف الخفاء: ١/ ٢٨٦.

(٧)

تفاوت قدرات المتعلمين

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها، فرب حامل فقه إلىٰ من هو أفقه منه ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن الدعوة تحيط من ورائهم**»[1].

في هذا الحديث إشارة إلىٰ تفاوت قدرات المتعلمين في التحصيل، وفيه أن لكل شخص حتىٰ لو قلَّت قدرته دور في العلم، فهناك من يكون دوره التبليغ، وهناك من يكون فوق هذا من استنباط وقياس علىٰ المسائل لإيجاد حكم للمسائل والحوادث الجديدة [ابداع].

وفي الحديث بيان مراتب التحصيل نفسها ففيها الحفظ، والوعي بمدلولاتها، والقدرة علىٰ التبليغ بعد الحفظ والوعي، وبعدها الاستنباط مما حفظ ووعىٰ.

واستخدم النبي ﷺ في هذا الحديث التحفيز اللفظي بالدعاء، وجعله قبل إيراد

---

(١) رواه عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الترمذي برقم ٢٦٥٨، مسند أحمد: ١/ ٤٣٧. سنن ابن ماجه ٢٣٢ وروي الحديث من طريق زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مسند أحمد: ٥/ ١٨٣. الترمذي برقم ٢٦٥٦، سنن أبي داود برقم: ٣٦٦٠، سنن ابن ماجه ٢٣٠، وروي من طريق أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مسند أحمد: ٣/ ٢٢٥، و سنن ابن ماجه ٢٣٦، ومن طريق جبير بن مطعم: مسند أحمد: ٤/ ٨٠، و سنن ابن ماجه ٢٣١. قال الحافظ عبد العظيم المنذري: «وقد روي هذا الحديث أيضا عن ابن مسعود ومعاذ بن جبل والنعمان بن بشير وجبير بن مطعم وأبي الدرداء وأبي قرصافة جندرة بن خيشنة وغيرهم من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وبعض أسانيدهم صحيح». الترغيب والترهيب: ١/ ٦٠.

المعلومة«نضر الله امرأ سمع مقالتي» ليحفز المستمع للإنصات لما بعده. ولم يكتف النبيﷺ بالدعاء لمن بلغ ما سمع بل عالج إشكالا قد يحدث، وهو ظن المستمع أنه إذا لم يصل لمرحلة الفهم الكامل لما يلقىٰ عليه؛فإنه لا يدخل في الدعاء فقال ﷺ في إحدىٰ الروايات: «نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمع»[1]. أي: بلغها صحيحة كما قيلت له دون خطأ؛ وهذا أدنىٰ مستويات التعليم المقبول.

❁ ❁ ❁

(١) من رواية ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الترمذي برقم ٢٦٥٧.

(٨)

تفاوت المعارف في الرتب

عن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول كان يقول.. **اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع** ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها»[1].

في هذا الحديث إشارة إلىٰ تفاوت العلوم حتىٰ إن منها ما يستعاذ منه، وفي هذا إشارة لضرره، وليس فقط لعدم فائدته، وقد علل النبي ﷺ هذه الاستعاذة بكونه لا ينفع، فيكون المطلوب هو تعلم العلوم النافعة. وعليه ينبغي تحديد العلوم النافعة والمعتبرة شرعا، ومن أوضح العلوم التي نص الشرع علىٰ خطورة تعلمها؛ السحر قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢] وهذا صريح في التحذير من تعلمه، وأن تعلمه يؤدي إلىٰ الكفر. وعليه فما ثبت النهي عنه في الشرع من العلوم فلا يصح تعلمه كتعلم الموسيقىٰ، وما كان يضاد الشرع من العلوم والعقائد؛ فيحرم تعلمها ولو لم ينص عليها، وهذا والذي قبله يصح الاطلاع عليه ومعرفته لغرض الرد عليه ودفع شبهه عن المسلمين والله أعلم.

---

(١). صحيح مسلم برقم: ٢٧٢٢.

وقد روي عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أتىٰ النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه علىٰ النبي ﷺ فغضب وقال: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسىٰ كان حيا، ما وسعه إلا أن يتبعني». (١).

وعليه فما ثبت نفعه من العلوم للإنسان فيصح تعلمه، وقد يرتفع تعلمه إلىٰ الوجوب، وأعلىٰ هذه العلوم ما حقق الغاية من خلق الإنسان وهو كمال العبودية لله تعالىٰ قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٧] فالأصل هو طلب الآخرة وما يصلح حال الإنسان فيها، ويلي ذلك ما قامت عليه حياة الإنسان من الضروريات، والحاجيات والتحسينيات (٢)، وهذه تتفاوت بتفاوت درجاتها. وعليه يكون تركيز المواد الدراسية يراعي هذا التفاوت(٣). ومن تفاوت العلوم ما يكون

---

(١) مسند أحمد: ٣/ ٣٨٧. قال الهيثمي [مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١/ ١٧٤]: رواه أحمد وأبو يعلىٰ والبزار، وفيه مجالد بن سعيد، ضعفه أحمد ويحيىٰ بن سعيد وغيرهما.

(٢) الضروريات: هي ما لا تقوم حياة الشخص بدونها، والحاجيات: ما قامت حياة الشخص بدونها لكانت بمشقة وعنت، والتحسينية ما يحتاجه الشخص ولا يبلغ الضرورة والحاجة. انظر: الموافقات للشاطبي: ٢/ ١٧.

(٣) ومن الأخطاء التي قد تترتب علىٰ هذا المفهوم؛ تصور بعض المعلمين أن هذا التفاوت يدخل في المعارف المقدمة في كل حصة؛ فتجده يعلم مادة كالرياضيات فيجعل جزءً كبيرا من الحصة في حقائق ومعارف شرعية مهملا لموضوع درسه إهمالا كاملا أو لا يعطيه الوقت الكافي لشرحه بشكل متقن؛ وهذا خطأ كبير، لأن المقصود بالتفاوت هو في المحصلة النهائية للمواد، والواجب العيني لمعلم الرياضيات أو العلوم هوشرح معارفها وعلومها، ولا مانع من لفت النظر لبعض المفاهيم الشرعية، أو =

أمس بالحياة اليومية مما قد يطرأ عليه في وقت أو حال، ومن هذا ماذكره أبو جعفر أحمد القطيعي [يعرف بشامط] قال: «دخلت علىٰ أبي عبد الله [1] فقلت: أتوضأ بماء النورة؟ فقال: ما أحب ذلك. قلت: أتوضأ بماء الباقلاء؟ قال: ما أحب ذلك. قلت: أتوضأ بماء الورد؟ قال: ما أحب ذلك. قال: فقمت فتعلق بثوبي ثم قال: إيش تقول إذا دخلت المسجد؟ فسكت فقال: وإيش تقول إذا خرجت من المسجد؟ فسكت. فقال: اذهب فتعلم هذا». [2].

ومن تفاوت رتب العلوم ما يتعلق بشأن خاص، وحالة خاصة بالمتعلم ومستوىٰ تعلمه ومجال تخصصه وحياته.

ولما اجتمع شرف الموضوع وشرف مهنة التعليم؛صار بهذا خير المسلمين، قال ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**». وفي رواية: «**إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه**»[3].

❀ ❀ ❀

=

ربطها بها من خلال الأمثلة، فيكون شرح مهارات ومعارف المواد هو الأصل، والحقائق الشرعية تابعة لها. والله أعلم.

(١) الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالىٰ.

(٢) طبقات الحنابلة ١/ ٤١، الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٧٣).

(٣) صحيح البخاري برقم: ٥٠٢٧، ٥٠٢٨، عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: «وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان حتىٰ كان الحجاج. قال: وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا». أبو عبدالرحمن هو السلمي رايه عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٩)

وضوح الكلام

عن عروة بن الزبير، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «أنها قالت: ألا يعجبك أبو فلان، جاء فجلس إلىٰ جانب حجرتي يحدث عن رسول الله ﷺ يسمعني ذلك، وكنت أسبح[١]، فقام قبل أن أقضي سبحتي، ولو أدركته لرددت عليه إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد[٢] الحديث كسردكم»[٣].

وفي رواية عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أن النبي ﷺ كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه»[٤].

عن عائشة رضي الله تعالىٰ عنها قالت: «ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام يبينه، فصل، يحفظه من جلس إليه»[٥].

في هذا الحديث بيان ما كان يميز حديث النبي ﷺ من جهة الوضوح؛ **وهذا من خلال أمرين:**

الأول: عدم الاسترسال في الكلام، وعدم الإطالة.

الثاني: قلة الكلمات حتىٰ إنها لتعد وتحفظ.

---

(١) صلاة النافلة.

(٢) كثرة وتتابع.

(٣) رواه البخاري برقم ٣٥٦٨، ومسلم برقم: ٢٤٩٣.

(٤) رواه البخاري برقم ٣٥٦٧، ومسلم برقم: ٢٤٩٣.

(٥) سنن الترمذي برقم: ٣٦٣٩ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وقد قال رسول الله ﷺ: «**بعثت بجوامع الكلم**»[1]. ولا شك أن طول الكلام وتشعبه ينسي بعضه بعضا، وكثرة الكلام في الفكرة الواحدة لا يساعد في فهمها بل قد يشتت الذهن ويُخفي المعنىٰ المراد.

والعرب تعد من البلاغة إيصال المعنىٰ بأقل الألفاظ وأدقها وأجزلها. فلو فاتت الجزالة [لضعف الثراء اللغوي] فلا تفوت القلة والدقة في اللفظ.

فيستحسن للمعلم أن يركز في كلماته، وينتقيها بحيث تُوصل الفكرة دون حاجة لكثرة الشرح إلا في حال عدم وصول المعنىٰ، فمتىٰ ما وصل المعنىٰ المراد يكتفي حتىٰ لا يشتت ذهن الطالب ويمله.

❀ ❀ ❀

(١) صحيح البخاري برقم: ٢٩٧٧ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١٠)

تكرار الكلام لتوضيح المراد

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: «أنه كان إذا تكلَّم بكلمة، أعادها ثلاثًا حتىٰ تُفهم عنه، وإذا أتىٰ علىٰ قوم فسلَّم عليهم، سلَّم عليهم ثلاثًا»[١].

وفي رواية عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضا قال: «كان رسول الله ﷺ يعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه»[٢].

سبق الحديث عن استخدام التكرار لجذب الانتباه، وفي هذا الحديث يبرز جانب آخر من فوائد تكرار الحديث ألا وهو التكرار لزيادة التوضيح والبيان لما يراد تبليغه، **ويفيد هذا الأسلوب في جانبين:**

الأول: توضيح فكرة غامضة.

الثاني: التأكيد علىٰ أهمية الفكرة المطروحة مع وضوحها.

ومن هذا ما جاء عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «تخلف رسول الله ﷺ في سفر سافرناه فأدركنا وقد أرهقنا الصلاة صلاة العصر ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح علىٰ أرجلنا فنادىٰ بأعلىٰ صوته: ويل للأعقاب من النار مرتين، أو ثلاثا»[٣].

---

(١) رواه البخاري برقم ٩٥، وفي [سنن الترمذي برقم: ٣٦٤٠]. عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال «: كان رسول الله ﷺ يعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه».

(٢) سنن الترمذي برقم: ٣٦٤٠.

(٣) صحيح البخاري برقم: ٩٦. ويحتمل أن التكرار لتعظيم شأن الخطأ.

وقال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: ألا أي شهر تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: ألا شهرنا هذا، قال: ألا أي بلد تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا ألا بلدنا هذا، قال: ألا أي يوم تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: ألا يومنا هذا، قال: فإن الله تبارك وتعالىٰ قد حرم دماءكم وأموالكم وأعراضكم إلا بحقها، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، ألا هل بلغت - ثلاثا كل ذلك يجيبونه ألا نعم- قال ويحكم، أو ويلكم - لا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»[1].

وقد يكون التكرار علىٰ فترات متباعة ويفيد حينها التأكيد علىٰ المعلومة وترسيخها ومن هذا ما قاله أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما خطبنا النبي ﷺ إلا قال: لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»[2].

فأزكىٰ صلاة وسلام علىٰ الهادي النذير وعلىٰ آله الكرام وصحبه رفيعي المقام.

❀ ❀ ❀

(١) صحيح البخاري برقم: ٦٧٨٥.

(٢) رواه أحمد ٣/ ٢١٠ وفي رواية فيه: ٣/ ٢١٠ قال: «ما خطبنا النبي ﷺ قال: لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له» وفي السنن الكبرىٰ للبيهقي. (٦/ ٢٨٨) قال: «قلما خطبنا نبينا ﷺ. إلا قال في خطبته» الأحاديث المختارة للضياء المقدسي (٣/ ١٤٨)وقال: إسناده حسن.

(١١)

توضيح الفكرة بالمثال المشابه

عن النعمان بن بشير، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قال: «**مثل القائم علىٰ حدود الله، والواقع فيها، كمثل قوم استهموا علىٰ سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا علىٰ من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا علىٰ أيديهم نجوا ونجوا جميعا**»(١).

من الأساليب النبوية في توضيح الفكرة ضرب المثال، وهنا ضرب النبي ﷺ مثالا مشابها للمضروب له، لغرض توضيح الفارق الكبير بين الآمر بالمعروف، ومن يفعل المنكر، وبيانا لخطورة ترك إنكار المنكر، وكف يد العاصي، بصورة يستشعر سامعها خطورة الأمر، وأن الغرق واقع بالجميع، وهلاك كل من يعيش في المجتمع إن لم يؤخذ علىٰ يد المجاهر بالمعاصي، حتىٰ لو ظن أن تصرفه ضمن حقه الخاص. فانظر لهذه المعاني الكثيرة وغيرها، والتي أظهرها المثال، ولو جاء في سياق سردي بحت؛ لطال الكلام فيها ولما كان له الأثر الكبير في النفس كالذي يتركه مشهد السفينة وهي غارقة، ومن الأمثلة النبوية لتوضيح وتقريب المعنىٰ:

قول النبي ﷺ: «**مثل ما بعثني الله به من الهدىٰ والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرىٰ إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعهما**

---

(١) صحيح البخاري برقم ٢٤٩٣.

بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدىٰ الله الذي أُرسلتُ به»[١].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قال: «**مثل المنافق كمثل الشاة العائرة**[٢] **بين الغنمين تعير إلىٰ هذه مرة وإلىٰ هذه مرة**»[٣].

ولاحظ قرب المثال من بيئة المتلقي ومعرفته بصورة المثال المضروب، وهذا من شروط ضرب المثال؛ لأن المقصود منه توضيح وتقريب الصورة.

ومن صور ضرب المثال في تعليمه ﷺ حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم، يغتسل فيه كل يوم خمسا، ما تقول ذلك يبقي من درنه؟ قالوا: لا يبقي من درنه شيئا، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا**»[٤].

ومن الأحاديث اللطيفة في ضرب المثال وعدم ذكر المعلومة بشكل مباشر ما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن رسول الله ﷺ أتىٰ المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا، قالو: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد، فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة[٥] بين ظهري

---

(١) صحيح البخاري برقم: ٧٩ عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) العائرة: المترددة الحائرة لا تدري أيهما تتبع (تعير) أي تتردد وتذهب.

(٣) صحيح مسلم برقم: ٢٧٨٤.

(٤) صحيح البخاري ـ برقم ٥٢٨، وصحيح مسلم-برقم ٦٦٧.

(٥) لأن الغرة في الوجه والتحجيل في اليدين والرجلين، وفي هذا إشارة لبياض أعضاء الوضوء. التمهيد لابن عبدالبر: ٢٠/ ٢٥٨.

خيل دهم بهم[١] ألا يعرف خيله؟ قالوا بلىٰ يا رسول الله. قال: فإنهم يأتون غرا محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم[٢] علىٰ الحوض».[٣] والملاحظ أن النبي ﷺ لو قال مباشرة أنه سيعرفهم من أثر الوضوء لما كان هذا معنىٰ غامضا، ولكنه زاد المعنىٰ وضوحا وزاده تثبيتا في الذهن بهذا المثال المعروف لهم في بيئتهم.

ومنهج ضرب الأمثلة وتصوير المعنىٰ وتقريبها منهج قرآني ومن هذه الأمثلة القرآنية قوله تعالىٰ: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ[٤] نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

وقد نبه الله تعالىٰ إلىٰ أهمية وضرورة تدبر الأمثال فقال تعالىٰ: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١].

❁ ❁ ❁

(١) دهم بهم: أي سود لم يخالط لونها لون آخر.

(٢) وأنا فرطهم علىٰ الحوض: أي متقدمهم إليه.

(٣) صحيح مسلم برقم: ٢٤٩.

(٤) الكفار هنا هم الزراع، أي أهل الزراعة.

(١٢)

توضيح الفكرة بالبناء على ما يعرفه المتعلم سلفا

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله أياتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**»[1].

يظهر جليا في هذا الحديث حرص النبي ﷺ علىٰ بناء القناعات المنطقية في بعض الأمور التعبدية؛ فلو كان جواب النبي ﷺ علىٰ سؤلهم: نعم يكون لكم به أجر لقبلوا هذا الحكم وفرحوا به لأنهم كانوا يطلبون أبوابا من الخير يتحصلون بها علىٰ الأجر، وهذا الباب مما تحبه النفوس وتميل إليه طبعا، ولكن النبي ﷺ وحتىٰ يكون الإيمان به ليس علىٰ التسليم فقط بل وعلىٰ المعرفة المنطقية، ذكَّرهم النبي ﷺ بما هو متقرر عندهم؛ من أن وضع الشهوة بطريقة محرمة يستوجب الإثم، فمن فعل خلاف الحرام ووضع شهوته بطريق مباح وقاصدا بذلك البعد عن الحرام، أو إعفاف زوجه، أو تكثير المسلمين وغير هذا من الأغراض الشرعية من العلاقة الزوجية؛ فإنه يؤجر بهذا وتكتب له الحسنات.

ويظهر هذا المنهج أيضا في حواره ﷺ لما جاءه الفتىٰ يطلب إباحة الزنا

---

(١) صحيح مسلم ١٠٠٦. وأول الحديث عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن ناسا من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم قال: أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة.».

لنفسه[١].

ومن الأحاديث التي بنىٰ ﷺ حواره، وتعليمه فيها علىٰ ما يعرفه المتعلم سابقا.

ما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن رجلا أتىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ولد لي غلام أسود، فقال: هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال: ما ألوانها؟ قال: حمر، قال: هل فيها من أورق؟ قال: نعم، قال: «فأنىٰ ذلك؟ قال: لعله نزعه عرق، قال: فلعل ابنك هذا نزعه»[٢].

ومن لطيف هذا الأسلوب ما رواه عتبة بن عبد السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جاء أعرابي إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: أفيها يعني في الجنة فاكهة؟ قال: نعم، وفيها شجرة تدعىٰ طوبىٰ، هي تطابق الفردوس، فقال: أي شجرة أرضنا تشبه؟ قال: ليس من شجر أرضك بشيء يشبهه، ولكن هل أتيت الشام؟ قال: لا يا رسول الله، قال: فإنها تشبه شجرة بالشام يقال لها: الجوزة تنبت علىٰ ساق واحد، ثم ينتشر أعلاها، قال: فما عظم أصلها؟ قال: لو ركبت ناقتك لم تقطع أصلها حتىٰ تنكسر ترقوتها هرما، قال: أفيها عنب؟ قال: نعم، قال: فما عظم العنقود فيها؟ قال: مسيرة شهر للغراب الأبقع لا ينثني ولا يفتر، قال: فما عظم الحبة منها؟ قال: هل ذبح أبوك تيسا من غنمه عظيما؟، قال: نعم. قال: فسلخ إهابها فأعطاه أمك فقال: ادبغي هذا، ثم اقري لنا منه دلوا يروي ماشيتنا؟ قال: نعم. قال: فإن ذلك كذلك، قال: فإن ذلك يشبعني وأهل بيتي؟ قال النبي ﷺ: وعامة عشيرتك »[٣].

---

(١) من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مسند أحمد ٥/ ٢٥٦. ويأتي تخريجه بإذن الله تعالىٰ.

(٢) صحيح البخاري برقم: ٥٣٠٥، ومسلم برقم: ١٥٠٠.

(٣) الطبراني في المعجم الكبير: ١٧/ ١٢٦، والمعجم الأوسط: ١/ ١٢٦، صفة الجنة لأبي نعيم الأصفهاني، والأمالي في آثار الصحابة لعبد الرزاق الصنعاني ص: ٩٢، قال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط واللفظ له، وفي الكبير، وأحمد باختصار عنهما، وفيه عامر بن البكالي، وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه ولم يوثقه، وبقية رجاله ثقات». مجمع الزوائد: ١٠/ ٤١٣.

(١٣)

زيادة الجواب عن السؤال لحاجة السائل

قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ من البحر؟ فقال رسول الله ﷺ: هو الطهور ماؤه، الحل ميتته**»[١].

كان سؤال الرجل عن حكم الوضوء بماء البحر فقط؛ ولكن النبي ﷺ لما ذكر له جواز الوضوء به مطلقا، ذكر له حكما آخر وهو حل ميتته، مع أن الرجل لم يسأل عنها؛ وهذا لأن الرجل من أهل البحر[٢] وهذا مما يعرض له ويحتاجه بشكل كثير، وفي هذا إشارة إلىٰ ما ينبغي أن يكون عليه المعلم من تيقظ وانتباه لحاجات طلابه، وما سيحتاجونه في مسيرتهم العلمية والعملية، فيزودهم بها ولو لم تكن ضمن المنصوص عليه في المنهج، وهذا قد يكون بشكل عام، وقد يكون حاجة فردية تتناسب وطبيعة الطالب النفسية، أو الاجتماعية، أو العقلية. وقد يكون هذا ظاهرا في اختلاف إجابات النبي ﷺ عن سؤال أوصني، أو سؤال: ما أفضل الأعمال؟

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «سئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله. قيل: ثم ماذا؟ قال: جهاد في سبيل الله. قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور»[٣].

---

(١) رواه الترمذي في سننه برقم: ٦٩ وقال: هذا حديث حسن صحيح. وفي مسند أحمد: ٢/ ٣٦١، وسنن أبي داود برقم ٨٣، وسنن النسائي برقم: ٥٩، وسنن ابن ماجه برقم: ٣٨٦ قال ابن عبدالبر: هو عندي صحيح. التمهيد: ١٦/ ٢١٨.

(٢) لقوله [إنا نركب] وهذه صفة تدل كثرة الفعل واستمراره.

(٣) صحيح البخاري برقم ١٥١٩، ومسلم برقم ٨٣.

وعن عائشة، أم المؤمنين، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها قالت: «يا رسول الله نرىٰ الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟ قال: لا لكن أفضل الجهاد. حج مبرور»[١].

وعن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها قالت: « سئل النبي ﷺ أي الأعمال أحب إلىٰ الله؟ قال: أدومها وإن قل، وقال: اكلفوا من الأعمال ما تطيقون»[٢].

ولعل النبي ﷺ لمس من السائل، أو خشي ممن يسمع الحديث وما فيه من الحث علىٰ المداومة، أن يشق علىٰ نفسه؛ فنبه لأصل شرعي آخر، وهو العمل وفق الطاقة[٣].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن رجلا سأل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة لوقتها، وبر الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله»[٤].

---

(١) صحيح البخاري برقم ١٥٢٠. ويلاحظ هنا أن السائل هنا امرأة وهي أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فناسب أن يقدم الحج لأن المرأة ليست من أهل الجهاد.

(٢) صحيح البخاري برقم ٦٤٦٥.

(٣) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «أنكحني أبي امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كنته فيسألها عن بعلها فتقول: نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشا، ولم يفتش لنا كنفا منذ أتيناه، فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ فقال: القني به فلقيته بعد، فقال: كيف تصوم؟ قال: كل يوم قال: وكيف تختم؟ قال: كل ليلة قال: صم في كل شهر ثلاثة، واقرإ القرآن في كل شهر، قال قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: صم ثلاثة أيام في الجمعة، قلت: أطيق أكثر من ذلك قال: أفطر يومين وصم يوما، قال قلت: أطيق أكثر من ذلك قال: صم أفضل الصوم صوم داود صيام يوم وإفطار يوم، واقرأ في كل سبع ليال مرة، فليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ وذاك أني كبرت وضعفت، فكان يقرأ علىٰ بعض أهله السبع من القرآن بالنهار والذي يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل، وإذا أراد أن يتقوىٰ أفطر أياما وأحصىٰ وصام مثلهن كراهية أن يترك شيئا فارق النبي ﷺ عليه» صحيح البخاري برقم ٥٠٥٢، ومسلم برقم ١١٥٩.

(٤) صحيح البخاري برقم ٧٥٣٤.

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: الإيمان بالله، والجهاد في سبيله. قال قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنا. قال قلت: فإن لم أفعل؟ قال: تعين صانعا أو تصنع لأخرق. قال قلت: يا رسول الله أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك علىٰ نفسك»[1].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أن رجلا قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: لا تغضب. فردد مرارا قال: لا تغضب»[2].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ يريد سفرا، فقال: يا رسول الله، أوصني. قال: أوصيك بتقوىٰ الله، والتكبير علىٰ كل شرف، فلما ولىٰ الرجل، قال النبي ﷺ: اللهم ازوِ له الأرض، وهون عليه السفر»[3].

وعن أبي تميمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: « شهدت رسول الله ﷺ وأتاه رجل فقال: أنت رسول الله ﷺ؟ أو قال: أنت محمد؟ فقال: نعم، قال: فإلام تدعو؟ قال: أدعو إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وحده، من إذا كان بك ضر فدعوته كشفه عنك، ومن إذا أصابك عام سنة فدعوته أنبت لك، ومن إذا كنت في أرض قفر فأضللت فدعوته رد عليك، قال: فأسلم الرجل ثم قال: أوصني يا رسول الله، قال له: لا تسبن شيئا، أو قال: أحدا ـ شك الحكم ـ قال: فما سببت بعيرا ولا شاة منذ أوصاني رسول الله ﷺ ولا تزهد في المعروف ولو منبسط وجهك إلىٰ أخيك وأنت تكلمه، وأفرغ من دلوك في إناء المستسقي، واتزر إلىٰ نصف الساق، فإن أبيت فإلىٰ الكعبين، وإياك وإسبال الإزار،

---

(١) صحيح مسلم برقم ٨٤.

(٢) صحيح البخاري برقم ٦١١٦.

(٣) مسند أحمد: ٢/ ٣٢٥. ويلاحظ أن الوصية كانت لحال طارئة وهي سفره في وقت السؤال.

فإنها من المخيلة، والله تبارك وتعالىٰ لا يحب المخيلة»[١].

وعن سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمعه يقول: «إن رجلا قال لرسول الله ﷺ: أوصني، قال: أوصيك أن تستحي الله عَزَّ وَجَلَّ كما تستحيي رجلا صالحا من قومك»[٢].

❁ ❁ ❁

(١) مسند أحمد: ٤/ ٦٥.

(٢) الأحاديث المختارة للضياء المقدسي (٢/ ٥٠).

(١٤)

عرض الفكرة من الجانب الأيسر

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ «**أن رجلا سأله ما يلبس المحرم؟ فقال: لا يلبس القميص، ولا العمامة، ولا السراويل، ولا البرنس، ولا ثوبا مسه الورس، أو الزعفران فإن لم يجد النعلين فليلبس الخفين وليقطعهما حتىٰ يكونا تحت الكعبين**»[1].

سَأل الرجل عما يباح للمحرم أن يلبسه حال إحرامه، فكان جواب هذا السؤال أن يعدد له النبي ﷺ ما يباح وهذا كثير، ويصعب حفظه، فكان جواب النبي ﷺ هو عما يحرم؛ لأنه محدود ومعدود، وما سواه يكون مباحا، وبهذا يسهل علىٰ السائل أن يعرف المحرمات والمباحات في اللبس للمحرم.

وهذا مأخذ مهم للمعلم عندما يريد أن يعرض المعلومة أو المفهوم؛ ينبغي أن يعرضه من الجانب الأيسر والأسهل للفهم والحفظ، وهذا من خلال ذكر الأقل كما في الحديث، أو من خلال ذكر القاعدة التي يبني عليها المتعلم ويقيس المتشابه وقد يكون من هذا ما رواه النواس بن سمعان الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم؟ فقال البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»[2].

---

(١) صحيح البخاري برقم ١٣٤، ومسلم برقم ١١٧٧.

(٢) صحيح مسلم برقم: ٢٥٥٣.

(١٥)

تصحيح المفاهيم

عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن فتىٰ شابا أتىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه. مه. فقال: ادنه، فدنا منه قريبا. قال: فجلس قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا. والله يا رسول الله جعلني الله فداءك قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم. قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم. قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم. قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه فلم يكن بعد ذلك الفتىٰ يلتفت إلىٰ شيء»[١].

لا شك أن هذا الصحابي كانت لديه قناعة بأن ما يطلبه سيحقق له السعادة؛ وإلا فلماذا يطلب إباحته مع علمه بتحريمه، وحتىٰ لا يقف الأمر عند عدم إباحته له، وتبقىٰ القناعة الداخلية بأنه أمر يجلب السعادة للنفس، فيبقىٰ الشخص بين الرادع الشرعي وبين القناعة والصورة الجميلة لهذا الفعل، وقد يصبر احتسابا للأجر، وقد يقع في المخالفة أحيانا، كانت المعالجة النبوية الرائعة من خلال نزع هذه الصورة والقناعة بفائدة الزنا.

---

(١) مسند أحمد ٥/ ٢٥٦، قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد: ١/ ١٢٩. قال الأرناؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح. مسند أحمد ط الرسالة (٣٦/ ٥٤٥).

وبتحليل الموقف النبوي يظهر جليا استخدام عدة جوانب.

الأول: الاحتواء وإشعاره بالأمان، وهذا من خلال قول النبي ﷺ [ادنه، فدنا منه قريبا] ولاحظ التأكيد علىٰ القرب فقد يكون دنا باعتبار ما كان سابقا دون أن يحدث القرب، وكذلك وضع النبي ﷺ يده الشريفة عليه للدعاء له فوضع اليد يشعر بالقرب والحنو والأمان، ومما يدل علىٰ شعوره بالأمان قبل الموقف جرأة الشاب علىٰ هذا الطلب، فاستنكار الصحابة رضوان الله عليه، يُشْعر بأن هذا الطلب لم يكون مقبولا ولا مألوفا، فما الذي جعل الشاب يجرؤ علىٰ طلبه؛ لعل ذلك -والله تعالىٰ أعلم- هو ما يعرفه من النبي ﷺ من رحمة وشفقة، كيف لا وقد قال ربه عَزَّوَجَلَّ عنه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. وقال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

الثاني: الجانب المنطقي. وهنا ارتكز النبي ﷺ علىٰ أسس فكرية لدىٰ الشاب، وهذا مهم للحوار وتغيير القناعات منها:

- تعارض هذا الفعل مع كرامة الرجل وسمعته في مجتمعه.
- تساوي الناس في الحقوق ومنها حفظ كرامتهم.

الثالث: الجانب العاطفي ويظهر هذا بتكرار التمثيل بالمحارم، وقد ظهر الجواب المنطقي في أول مثال؛ ولكن تكرار التمثيل يكرر صورة الفعل في ذهن المستمع، بل وفي كل مرة مع امرأة أخرىٰ من محارمه مما يزيد بشاعتها وقعها علىٰ نفسه، أو قد يكون لبعضهن وقع في نفسه أكبر لأسباب طبيعة العلاقة بهن قربا وبعدا، محبة وبغضا.

الرابع: الجانب الإيماني: ويظهر هذا جليا في الدعاء له، وهذا من أعظم الأسباب للتوفيق في كل الأمور، لأنه طلب من رب الأسباب. ومن الأسباب الإيمانية؛ وضع يده المباركة ﷺ لينال الشفاء من الله تعالىٰ، وهذا بالإضافة لكونها جانب نفسي وهذا من النبي ﷺ ومن غيره، بخلاف الجانب الإيماني لنيل بركة مس يده الشريفة ﷺ.

فكانت النتيجة أن قال الراوي: «فلم يكن بعد ذلك الفتىٰ يلتفت إلىٰ شيء». فصلىٰ الله تعالىٰ وسلم علىٰ نبينا الهادي محمد بن عبدالله وعلىٰ آله وصحبة وسلم تسليم كثيرا.

❁ ❁ ❁

(١٦)

جذب الانتباه بالصمت المقصود

عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بينا أنا رديف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا أخرة الرحل فقال: يا معاذ. قلت: لبيك رسول الله وسعديك[1]، ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ. قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ. قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حق الله علىٰ عباده؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله علىٰ عباده أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئا. ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ بن جبل. قلت: لبيك رسول الله وسعديك، فقال: هل تدري ما حق العباد علىٰ الله إذا فعلوه؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق العباد علىٰ الله أن لا يعذبهم»[2].

أراد النبي ﷺ أن يبلغ معاذا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حقيقة شرعية كبرىٰ؛ عليها مدار النجاة والفلاح وهي توحيد الله تعالىٰ وإفراده بالعبودية، وأنهم إن حققوا التوحيد استحقوا من الله بما أوجبه علىٰ نفسه ألا يعذبهم.

ولكن النبي ﷺ في تبليغ هذه الحقيقة لم يلقها بشكل مباشر بل استخدم أسلوبا للجذب ألا وهو الصمت بعد النداء وهذا الأسلوب يوحي بالتأكيد والاهتمام بما سيخبره به ويبالغ في تفهمه وضبطه[3].

---

(١) قال ابن بطال: «معنىٰ قوله: (لبيك) أنا مقيم علىٰ طاعتك من قولهم: لب فلان بالمكان وألب به إذا أقام به، ومعنىٰ سعديك من الاسعاد والمتابعة. وقال غيره: معنىٰ (لبيك) أي: إجابة بعد إجابة، ومعنىٰ سعديك: إسعادًا لك بعد إسعاد. قال المهلب: والإجابة بنعم وكل مايفهم منه الإجابة كاف، ولكن إجابة السيد والتشريف بالتلبية والارحاب والإسعاد أفضل». شرح صحيح البخاري: ٩/ ٥٠.

(٢) صحيح البخاري برقم: ٥٩٦٧، ومسلم برقم ٣٠.

(٣) فتح الباري لابن حجر: ١١/ ٣٣٩.

«فتلك نداآت ثلاث نبهت معاذا إلىٰ العناية بما يلقىٰ؛ وصرف الذهن إليه، وإرهاف الأذن له؛ وإيقاظ الحافظة لضبطه ووعيه وعرفته أنه نبأ عظيم؛ وحديث خطير»[1].

وهذا أسلوب في غاية الدقة واللطف والمهارة في توصيل المعلومة، وينبغي أن يلاحظ أن هذا الأسلوب يحتاج معرفة سابقة بين الطرفين فيعلم من خلالها أنه لم يقف ويسكت إلا لأجل المعلومة.

ومن الظروف التي صاحبت الموقف التعليمي وهي مما يخدم التعلم شعور المتعلم بالخصوصية، وأنه محل للقضايا والمسائل المهمة والكبرىٰ؛ إرداف النبي ﷺ لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومناداته بالاسم وتكرار المناداة. فكل هذه الظروف جعلت المعلومة تصل بشكل أقوىٰ فصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

❁ ❁ ❁

(١) محمد الخَوْلي الأدب النبوي ص١٨٤.

(١٧)

جذب الانتباه بغموض المعلومة

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «مُر بجنازة فأثنىٰ عليها خيرا، فقال نبي الله ﷺ وجبت وجبت وجبت، ومر بجنازة فأثنىٰ عليها شرا فقال نبي الله ﷺ وجبت وجبت وجبت، قال عمر: فدىٰ لك أبي وأمي مُرَّ بجنازة فأثني عليها خيرا فقلت: وجبت وجبت وجبت، ومُرَّ بجنازة فأثني عليها شرا فقلت: وجبت وجبت وجبت؟ فقال رسول الله ﷺ: من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض»[١].

في هذا الحديث استخدم النبي ﷺ في جذب الانتباه قبل تقديم المعلومة أسلوبا يعتمد علىٰ فطرة في النفس البشرية، وهي محاولة تفسير الظواهر الجديدة والغريبة، فقال عند مرور الجنازة: وجبت، وكرر الكلمة مما يجذب الانتباه، ثم كررها في موضعين، مما استثار عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره من الصحابة، فدفعهم ذلك للسؤال عن المراد بهذه الكلمة؛ وعندها قدم النبي ﷺ المعلومة، وشتان بين أن يقدم المعلومة بعد جذب الانتباه والاهتمام، وبين ان يقدمها بسيطة مباشرة.

وقد مارس النبي ﷺ هذا الأسلوب في عدة مواضع منها ما رواه أبو قتادة بن ربعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن رسول الله ﷺ مر عليه بجنازة فقال: مستريح ومستراح منه، قالوا: يا رسول الله ما المستريح والمستراح منه؟ فقال: العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب»[٢].

---

(١) صحيح مسلم برقم ٩٤٩.

(٢)) صحيح مسلم برقم ٩٥٠.

وكذلك ما رواه أبو شريح الخزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «**والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن، قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوايقه**[1]»[2].

ومن هذا ما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «رغم أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه». قيل من يا رسول الله قال «من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة»[3].

و ونحوه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أن النبي ﷺ صعد المنبر فقال: (آمين آمين آمين) قيل: يا رسول الله إنك حين صعدت المنبر قلت: آمين آمين آمين قال: (إن جبريل أتاني فقال: من أدرك شهر رمضان ولم يغفر له فدخل النار فأبعده الله قل: آمين فقلت: آمين ومن أدرك أبوية أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله قل: آمين فقلت: آمين ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل: آمين فقلت: آمين»[4].

وكذلك في حديث عجوز بني إسرائيل ويأتي في أسلوب استخدام القصة.

وهذا لا يتأتى للمعلم ما لم يكن حاضر الذهن لما سيقدمه لطلابه، وقد يحتاج لتجهيز أدوات فينبغي أن يسبق الدرس تخطيط واستعداد ذهني ومادي.

فصلى الله وسلم وبارك على خير معلم للبشرية.

---

(١) وهي الداهية والشيء المهلك والأمر الشديد الذي يوافي بغتة. فتح الباري لابن حجر: ١٠/ ٤٤٣.

(٢) صحيح البخاري برقم ٦٠١٦.

(٣) صحيح مسلم برقم ٢٥٥١.

(٤) صحيح ابن حبان: ٢/ ١٣١ وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده حسن»، صحيح ابن خزيمة (٣/ ١٩٢)و قال الأعظمي: «إسناده جيد»والسنن الكبرى للبيهقي (٤/ ٣٠٤).

(١٨)

حماس المعلم

عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتىٰ كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم»[١].

إن الحماس والنشاط، وعكسها تسري كالعدوىٰ بين الفريق والمجموعات، ولذا ينبغي علىٰ قائد المجموعة والمعلم أن ينشر الحماس والنشاط في طلابه لما سيقدمه، ولن يتم له ذلك إن لم يكن هذا هو واقعه، بل وأن يراه المتلقي ويعلمه منه، وهذا هو الذي وصفه الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من حال النبي ﷺ، فلما تكن خطبه باردة جامدة، بل تشع حماس وتنشره حتىٰ أن حنظلة الأسيدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتىٰ كأنا رأي عين»[٢].

وهنا التنبيه علىٰ أمر، وهو أن الحماس لا يعني دائما رفع الصوت، بل هذا بحسب الموضوع والمناسبة، فقد جاء في رواية أخرىٰ لحديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «وكان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه، وعلا صوته، واشتد غضبه، كأنه نذير جيش يقول: صبحكم مساكم»[٣].

فقد يظهر الحماس برؤية الطالب استعداد المعلم المبكر للموضوع، أو سرعة المبادرة والتجاوب من المعلم في الموضوع، أو من خلال حرصه ومتابعته لوصول المعلومة إلىٰ الطلاب، وعلاج ما لديهم من تقصير.

---

(١) صحيح مسلم برقم ٨٦٧.

(٢) رواه مسلم برقم ٢٧٥٠.

(٣) سنن النسائي برقم ١٥٧٩، ومسند أحمد: ٣/ ٣٧١.

(١٩)

مراعاة خصائص النمو

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: «قال رسول الله ﷺ: مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع». [١].

في هذا الحديث القولي فرَّق النبي ﷺ في طريقة التعامل مع المتعلم بحسب عمره وهذا من عدة جوانب:

الأولىٰ: فرق النبي ﷺ بين سن السابعة وما قبلها؛ حيث أمر بتعليم الصلاة بعد بلوغ السابعة وليس قبلها، مما يشير إلىٰ أن المعارف قد لا يناسبها كل وقت وعمر، مع أننا نرىٰ بعض من هم أقل من السابعة يتعلمون حركات الصلاة، ولكن هذا لا يعني بلوغهم مرحلة النضج[٢] لتعلم الصلاة.

الثانية: فرق النبي ﷺ في العقوبة بين سن العاشرة وما قبلها، حيث إن العقوبة علىٰ الطفل الصغير قد تترك أثرا عكسيا؛ لعدم تحمله البدني والنفسي[٣].

---

(١) سنن أبي داود برقم ٤٩٥، وعند أحمد في المسند: ٢/ ١٨٠. بلفظ: «مروا صبيانكم بالصلاة، إذا بلغوا سبعا واضربوهم عليها، إذا بلغوا عشرا، وفرقوا بينهم في المضاجع».

(٢) هي المرحلة المناسبة لكل مهارة ومعرفة ليتقنها مع الاستفادة الكاملة منها، وما قبلها قد يتعلمها ولكن لن يكون لتعلمه فضل علىٰ من تعلمها في وقت النضج. يراجع في هذا كتب علم النفس التربوي في الكلام علىٰ شروط التعلم.

(٣) العقوبة هنا للتربية وليست كحد شرعي، لأن الصغير ليس مكلفا.

وهنا نلفت النظر إلىٰ مسألة الضرب وعلاقته بالتربية وتعديل السلوك، فيكثر الاستدلال علىٰ تربوية الضرب بهذا الحديث وبقوله ﷺ: «**وأنفق علىٰ عيالك من طولك، ولا ترفع عنهم عصاك أدبا وأخفهم في الله**»(١).

قال أبو عبيد فىٰ هذا الحديث: «قال الكسائىٰ وغيره: يقال: إنه لم يرد العصا التىٰ يضرب بها، ولا أمر أحدا قط بذلك، ولكنه أراد الأدب. قال أبو عبيد: وأصل العصا الاجتماع والائتلاف»(٢).

ولعل التوسط في الأمر أقرب للمنهج النبوي، فالتطبيق النبوي كان بعيدا عن تأديب الصغار بالضرب، وقد قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين والله ما قال لي أفا قط ولا قال لي لشيء لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا؟»(٣) وفي رواية يقول: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، وما كل أمري كما يحب صاحبي أن يكون»(٤).

وهذا نموذج لموقف له مع النبي ﷺ: قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا: فأرسلني يوما لحاجة فقلت: والله لا أذهب وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ فخرجت حتىٰ أمر علىٰ صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا

---

(١) رواه أحمد في المسند: ٥/ ٢٣٨. عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الهيثمي: «رواه أحمد، والطبراني في الكبير، ورجال أحمد ثقات إلا أن عبد الرحمن بن جبير بن نفير لم يسمع من معاذ، وإسناد الطبراني متصل، وفيه عمرو بن واقد القرشي، وهو كذاب». مجمع الزوائد: ٤/ ٢١٥، قال المنذري: «رواه أحمد والطبراني في الكبير، وإسناد أحمد صحيح لو سلم من الانقطاع، فإن عبد الرحمن بن جبير بن نفير لم يسمع من معاذ».الترغيب والترهيب: ١/ ٤٣٧، وضعف الحديث الأرناؤوط في تعليقه علىٰ المسند.

(٢) السنن الكبرىٰ للبيهقي: ٧/ ٣٠٤.

(٣) صحيح مسلم برقم: ٢٣٠٩.

(٤) مسند أحمد: ٣/ ١٩٥.

رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي. قال: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: يا أنيس، أذهبت حيث أمرتك؟ قال: قلت نعم. أنا أذهب يا رسول الله»[١].

قال أبو مسعود البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كنت أضرب غلاما لي بالسوط، فسمعت صوتا من خلفي: اعلم أبا مسعود، فلم أفهم الصوت من الغضب. قال: فلما دنا مني إذ هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول: اعلم أبا مسعود اعلم أبا مسعود. قال: فألقيت السوط من يدي. فقال: اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك علىٰ هذا الغلام. قال: فقلت لا أضرب مملوكا بعده أبدا»[٢].

وفي حديث الباب لم يأذن النبي ﷺ بالضرب إلا بعد التربية والتعويد علىٰ الصلاة لمدة ثلاث سنين، وهذا يعني أن يحثه دون ضرب علىٰ ما يقارب [٥٤٦٠] صلاة تقريبا، فالأصل إن داوم الأب علىٰ تعليمه الصلاة في كل فرض خلال هذه السنوات الثلاث أن تصبح له عادة لا يتركها فلن يحتاج إلىٰ الضرب، ولعل أغلب تفريط الأبناء بالصلوات كان بسبب تفريط الاباء في التعليم خلال السنوات الثلاث والله تعالىٰ أعلم.

وكذلك يشير إلىٰ تأخير العلاج بالضرب ما جاء عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أن رجلا أتىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي خادما يسيء ويظلم أفأضربه؟ قال: تعفو عنه كل يوم سبعين مرة».[٣] أي لا تضربه إلا بعد العفو عنه سبعين مرة.

ومما قد يستدل به علىٰ الضرب قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ

---

(١) صحيح مسلم برقم ٢٣١٠.

(٢) صحيح مسلم برقم ١٦٥٩.

(٣) مسند أحمد: ٢/ ٩٠.

لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٣٤] فكان من أساليب تقويم المرأة ضربها[1]، وهذا حق ينتبه فيه لأمرين: **الأول**: أن الضرب هنا جاء كعلاج قبل الفراق والطلاق. ولا يخفىٰ ما في الطلاق من أضرار علىٰ الأسرة كاملة، فوقوع بعض الضرر علىٰ المرأة لتحصيل منفعة عدم الطلاقِ ظاهرة، كما في قطع جزء من الجسد لتسلم الحياة.

الثاني: تأخر إباحته بعد الوعظ، والهجر، وهذا كما سبق يبين تأخر رتبته في التقويم.

فلعل مما سبق يظهر أن الضرب يعتبر من أساليب التقويم التي يلجأ إليها حال الضرورة، واستنفاذ الأساليب العلاجية، وأيضا لا يمارس في كل خطأ، فالملاحظ في النصوص أنه جاء في أمرين عظيمين: الصلاة، والأسرة.

بينما نجده نهىٰ عن ضرب الخادم وجعل كفارة ضربه عتقه[2]، حتىٰ مع خطئه، وكذلك لم يكن ﷺ يستخدم هذا الأسلوب مع الأطفال الذين عاملهم وكانوا في

---

(١) علىٰ الشروط والصفة التي ذكرها الفقهاء. وخلاصته أن الضرب لايكون بما فيه إيذاء الجسد، كالضرب بالمسواك.

(٢) عن زاذان قال: «أتيت ابن عمر وقد أعتق مملوكا له، فأخذ من الأرض عودا أو شيئا، فقال: ما لىٰ فيه من الأجر ما يسوىٰ هذا سمعت رسول الله ﷺ يقول: من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه». سنن أبىٰ داود برقم ٥١٦٨. وفي صحيح مسلم برقم ٥٣٧ من حديث عن معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كانت لي جارية ترعىٰ غنما لي قبل أحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم، آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي، قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: «ائتني بها» فأتيته بها، فقال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها، فإنها مؤمنة».

خدمته، فعلىٰ المعلم أن يبذل كل الأساليب المتاحة للعلاج، ثم عليه ألا يستخدم الضرب إلا في الأمور الكبيرة، وعليه أن يكون ضربه لغرض التأديب لا للتشفي والانتقام، وعليه أن يلتزم بالشروط التي ذكرها العلماء للضرب لغرض التأديب من جهة الكم والكيف[1].

ومن الأحاديث التي تظهر مراعاته ﷺ لخصائص النمو حديث عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها قالت: «رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلىٰ الحبشة يلعبون في المسجد حتىٰ أكون أنا الذي أسأم، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة علىٰ اللهو»[2].

ومن النقاط التعليمة المهمة في هذا الحديث؛ أهمية التدريب علىٰ المهارة المراد اكسابها للطالب وإعطائها الوقت الكاف لها، وألا يكتفي المعلم بإلقاء المهارة نظريا مرة أو مرتين، وألا يكتفي بتطبيق بعض الطلاب، بل لا بد من تطبيق الجميع، وتكرار الممارسة للتدريب حتىٰ يصبح عادة ومهارة متقنة.

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر بحث هذه المسالة فقهيا في كتاب: ولاية التأديب الخاصة في الفقه الإسلامي لإبراهيم التنم: ص٤٢٢ وما بعده ومواضع أخرىٰ.

(٢) صحيح البخاري ـ برقم ٥٢٣٦، ومسلم برقم ٨٩٢. ولفظه «عن عائشة.. وقالت: رأيت رسول الله ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلىٰ الحبشة وهم يلعبون وأنا جارية، فاقدروا قدر الجارية العربة الحديثة السن». وقولها: [العربة] أي المشتهية للعب المحبة له.

(٢٠)

إنجاز الحوافز

عن عبد الله بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «دعتني أمي يوما ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها، تعال أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ: «وما أردت أن تعطيه؟» قالت: أعطيه تمرا، فقال لها رسول الله ﷺ: «أما إنك لو لم تعطه شيئا كتبت عليك كذبة»[١].

يتساهل بعض المعلمين في الوعد بالجوائز والحوافز لمن شارك معه أو أجاب إجابة صحيحه، وليس لديه نية الوفاء، أو لا مانع لديه من الإنجاز ولكنه يتساهل في الوفاء بوعده.

وقد كان عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «إن الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل -وقال عفان[٢] مرة: جد - ولا يعد الرجل صبيا، ثم لا ينجز له»[٣].

وهذا السلوك قد يستهين بعض المعلمين باعتبار أن المخاطب طفل، أو أنه في الأصل غير ملزم بهذه الجوائز، والحقيقة أن هذا السلوك الذي حذر منه المصطفىٰ ﷺ يترتب عليه عدة محاذير: منها الشرعي وهو ما نص عليه النبي ﷺ في الحديث، من كونها كذبة، وقد يقيس بعضنا الكذب بما يترتب عليه من أضرار، ولذا قد يعد

---

(١) سنن أبي داود ٤/ ٢٩٨، مسند أحمد: ٣/ ٤٤٧. حسن إسناده: السخاوي في المقاصد الحسنة ص: ٥٣٤، والعجلوني في كشف الخفاء ٢/ ٢٠٥.

(٢) أحد رواته عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) مسند أحمد: ١/ ٤١٠. قال العراقي: رجاله ثقات. المغني عن حمل الأسفار: ٢/ ٨٠٩، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم.

بعض الوعود ليست كذبا لأنها لا يترتب عليها تقصير في حق واجب، أو في إلحاق ضرر بأحد، وقد قالت أسماء بنت عميس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كنت صاحبة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا التي هيئتها وأدخلتها علىٰ النبي ﷺ ومعي نسوة. قالت: فو الله ما وجدنا عنده قِرىٰ إلا قدحا من لبن، فشرب ثم ناوله عائشة قالت: فاستحيت الجارية قالت: فقلت: لا تردي يد رسول الله ﷺ خذي منه قالت: فأخذته علىٰ حياء فشربت منه ثم قال: ناولي صواحبك فقلن: لا نشتهيه ! ! فقال: لاتجمعن جوعا وكذبا!! قالت: فقلت: يا رسول الله إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه: لا أشتهيه أيعد ذلك كذبا؟ قال: إن الكذب ليكتب كذبا حتىٰ الكذيبة كذيبة»[1]، وفي حال وُعِد الطالب بجائزة علىٰ أمر؛ فأنجزهُ فالجائزة أصبحت حقا له، يَلْزَمُ المعلم الوفاء بما وعد.

ومن المحاذير التربوية المترتبة علىٰ هذا السلوك، تهوين وتعويد الطالب علىٰ صفة الكذب، باعتبار أن المعلم قدوة.

ومن الأثار التربوية السلبية، عدم استثارة دافعية الطالب بالوعود اللاحقة؛ لأنه جرب عدم الوفاء من المعلم.

❁ ❁ ❁

(١) مسند أحمد: ٦/ ٤٣٨، والبيهقي في شعب الإيمان: ٤/ ٢١٠. قال الهيثمي [مجمع الزوائد: ٤/ ٥١]: رواه أحمد والطبراني في «الكبير»، وفيه أبو شداد عن مجاهد، روىٰ عنه ابن جريج ويونس بن يزيد، وبقية رجاله رجال الصحيح، إلا أن أسماء بنت عميس كانت بأرض الحبشة مع زوجها جعفر حين تزوج النبي ﷺ عائشة، والصواب حديث أسماء بنت يزيد، والله أعلم. ورواه الطبراني في الصغير، وإسناده ضعيف.

(٢١)

الرفق في توجيه خطأ المتعلم

عن معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه، ما شأنكم؟ تنظرون إلي، فجعلوا يضربون بأيديهم علىٰ أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت، فلما صلىٰ رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فوالله، ما كهرني[1] ولا ضربني ولا شتمني، قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن» أو كما قال رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله، إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالا يأتون الكهان، قال: «فلا تأتهم» قال: ومنا رجال يتطيرون، قال: «ذاك شيء يجدونه في صدورهم، فلا يصدنهم - قال ابن الصباح: فلا يصدنكم -» قال قلت: ومنا رجال يخطون، قال: «كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك» قال: وكانت لي جارية ترعىٰ غنما لي قِبَلَ أُحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم، آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي، قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: «ائتني بها» فأتيته بها، فقال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها، فإنها مؤمنة»[2].

---

(١) معناه: القهر.

(٢) صحيح مسلم برقم ٥٣٧.

في هذا الحديث ظهر جليا للصحابي الجليل معاوية بن الحكم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منهج الرفق عند النبي ﷺ في تعليمه لصحابته فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فوالله، ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني». ويظهر في الحديث أثر الرفق علىٰ المتعلم حيث فداه بأبيه وأمه، لسروره بهذا التعامل، وأثر ذلك في نفسه، وفيه ربط الصحابي لهذا الرفق بكونه من صفات المعلم المحسن لتعليمه، وفي الحديث ذكر ما يضاد الرفق في قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني».

وقد قال ﷺ: «إن الله يحب الرفق في الأمر كله».[1] وفي رواية قال ﷺ: «يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي علىٰ الرفق ما لا يعطي علىٰ العنف وما لا يعطي علىٰ ما سواه»[2].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «دخل أعرابي المسجد ورسول الله ﷺ جالس، فقال: اللهم اغفر لي ولمحمد ولا تغفر لأحد معنا. فضحك رسول الله ﷺ وقال: لقد احتظرت واسعا. ثم ولىٰ حتىٰ إذا كان في ناحية المسجد فشج يبول، فقام إليه رسول الله ﷺ فقال: إنما بني هذا البيت لذكر الله والصلاة، وإنه لا يبال فيه. ثم دعا بسجل من ماء، فأفرغه عليه، قال: يقول الأعرابي بعد أن فقه: فقام النبي ﷺ إليَّ، بأبي هو وأمي، فلم يسب، ولم يؤنب، ولم يضرب»[3]، فدل هذا أن الرفق أفضل من الشدة

---

(١) صحيح البخاري برقم ٦٢٥٦، ومسلم برقم ٢١٦٥، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) صحيح مسلم برقم ٢٥٩٣.

(٣) مسند أحمد: ٢/ ٥٠٣، وابن ماجة برقم ٥٢٩، وأصل الحديث في الصحيح قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس فقال لهم النبي ﷺ دعوه وهريقوا علىٰ بوله سجلا من ماء أو ذنوبا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين». صحيح البخاري برقم ٢٢٠. ويلاحظ نهيه ﷺ للصحابة رضوان الله عليهم من التشديد عليه، لأنه فعل ذلك جهلا، وانظر أيضا أثر المعاملة بالرفق علىٰ هذا الأعرابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والعنف في تحصيل النتائج، التعليمية والسلوكية، وقد يتصور بعضنا أن العنف أسرع في تحقيق النتائج وخاصة السلوكية منها، وهذا خطأ لأن توقف السلوك الخاطئ هنا، لا يعنىٰ زواله، بل يقبع في النفس ويتحين الفرصة للظهور، وقد يظهر في سلوكات أخرىٰ تعبر عن عدم الرضا، ومن الناحية التعليمية، قد ينتج عنه ما طلب منه، ولكن لا توجد رغبة ولا تفهم لما تم تنفيذه مما يعني أثرا ضعيفا، وهذا يفسر وجود الكثير من الخريجين في تخصصات وهم لا يتقنونها؛ لأنهم ساروا فيها دون رغبة ذاتية؛ إما بضغط من الأسرة، أو الواقع العام.

ومن مظاهر الرفق في هذا الحديث أنه ﷺ لما ذكر له ما ينبغي في الصلاة وما لا ينبغي، انتقل الصحابي من الموضوع للسؤال عن أمور أخرىٰ قدمها بمقدمة فيها تلميح للاعتذار عن خطئه فقال: «قلت: يا رسول الله، إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالا يأتون الكهان». فلما يعده ﷺ إلىٰ الموضوع، بل تجاوب مع أسئلته وأجابه عنها. وهنا لفتة لبعض المعلمين الذين يلحون في إعادة الكلام عن الخطأ، وكأنه لا يرضىٰ حتىٰ يعلن المتعلم خطأه علىٰ الملأ، أو بشكل فيه كسر نفس له.

فالغرض من التنبيه هو معالجة الخطأ لا إحراج المتعلم. فإن رغب المعلم في التأكد من فهم المتعلم يسأل بطريقة يظهر فيها الطالب الإتقان، فيتأكد المعلم ويحقق الطالب إنجازا.

❁ ❁ ❁

(٢٢)

التعليم بالممارسة من قبل المتعلم

عن سليمان بن بريدة، عن أبيه، «عن النبي ﷺ أن رجلا سأله عن وقت الصلاة، فقال له: «صل معنا هذين - يعني اليومين - فلما زالت الشمس أمر بلالا فأذن، ثم أمره، فأقام الظهر، ثم أمره، فأقام العصر والشمس مرتفعة بيضاء نقية، ثم أمره فأقام المغرب حين غابت الشمس، ثم أمره فأقام العشاء حين غاب الشفق، ثم أمره فأقام الفجر حين طلع الفجر، فلما أن كان اليوم الثاني أمره فأبرد بالظهر، فأبرد بها، فأنعم أن يبرد بها، وصلىٰ العصر والشمس مرتفعة، أخرها فوق الذي كان، وصلىٰ المغرب قبل أن يغيب الشفق، وصلىٰ العشاء بعدما ذهب ثلث الليل، وصلىٰ الفجر فأسفر بها»، ثم قال: أين السائل عن وقت الصلاة؟ فقال الرجل: أنا، يا رسول الله، قال: وقت صلاتكم بين ما رأيتم»[1].

كان بالإمكان أن يجيب النبي ﷺ علىٰ سؤال الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بشكل نظري مباشر؛ ولكنه أمره بالبقاء ليرىٰ ويطبق ما أراد معرفته، ولا شك في أن هذا أدعىٰ لقوة ثبات المعلومة من سردها بشكل نظري. ومن هذا قول رسول الله ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها، وهم أبناء عشر**»[2] وانظر لطول المدة هنا لكسب المهارة.

---

(١) صحيح مسلم برقم ٦١٣

(٢) سنن أبي داود برقم ٤٩٥، وعند أحمد في المسند: ٢/ ١٨٠. بلفظ: «مروا صبيانكم بالصلاة، إذا بلغوا سبعا واضربوهم عليها، إذا بلغوا عشرا، وفرقوا بينهم في المضاجع».

وهذا لا ينفي أهمية إعطاء المعلومة بشكل نظري وقد يكون هذا هو الخيار الأفضل في حالات منها:

- إذا كان الوقت ضيقا، فنلاحظ في الحديثين أن الأمر احتاج للوقت وكان مناسبا للمتلقي، ففي حال ضيق الوقت يكون الخيار النظري هو الأفضل، كما لو كان المتعلم علىٰ سفر.

- إذا كانت المهارة مما يسهل إدراكها بالطريقة النظرية، فصرف الوقت فيما لا يدرك إلا بالممارسة أولىٰ، كتلقين القرآن، أولىٰ من جعل الطالب يحاول القراءة الصحيحة بالتهجئة[1].

- الأمور الغيبية والمجردة التي لا تدرك بالحواس، ويكون مبناها علىٰ العقل والتسليم. كمسائل الغيبيات، فهذه المسائل مبناها علىٰ الإيمان السابق بصدق المُخْبِر.

ومن المسائل المتعلقة بالتعليم في هذا الحديث:

- وضوح الهدف والأسلوب لدىٰ المعلم. فالنبي ﷺ عندما سمع السؤال مباشرة اعتمد الطريقة، والأسلوب المناسب لتحقيق الهدف.

---

(١) مما وقع لي أن كلمة [عاد] جاءت في نص قرائي في الصف الأول الابتدائي علىٰ معنيين: الأول: رجع، والثاني: من عيادة المريض. فحاولت أن يكتشف الطلاب الفرق بين المعنيين من خلال الأمثلة، فذهب وقت طويل من الحصة ولم يستخرج الطلاب الفرق بينهما. وفي ظني لو ذكرت الفرق بين المعنيين مع الأمثلة لكان ذلك مما تتقنه عقولهم بنسبة كبيرة، وفائدة اكتشاف الطالب ذلك بنفسه لا شك في أنها أقوىٰ، ولكن طول الوقت مع إمكانية تحصيل نسبة كبيرة من المهارة يجعل استثمار الوقت في مهارات أخرىٰ لا يمكن فهمها بشكل نظري أولىٰ.

- عدم غياب الهدف لدىٰ المعلم بطول المدة. فالإجابة استغرقت يومين ولم يغب الهدف من ذهن النبي ﷺ.

- عند تحقق واكتمال الممارسة من قِبَل المتعلم جاءت الإجابة النظرية المكملة.

فصل اللهم علىٰ خير خلقك وزده تسليما وبركة.

❁ ❁ ❁

(٢٣)

التعليم بالممارسة من قبل المعلم

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن رجلا أتىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف الطهور؟ فدعا بماء في إناء فغسل كفيه ثلاثا، ثم غسل وجهه ثلاثا، ثم غسل ذراعيه ثلاثا، ثم مسح برأسه فأدخل إصبعيه السباحتين في أذنيه، ومسح بإبهاميه علىٰ ظاهر أذنيه، وبالسباحتين باطن أذنيه، ثم غسل رجليه ثلاثا ثلاثا، ثم قال: هكذا الوضوء فمن زاد علىٰ هذا أو نقص[1] فقد أساء وظلم. أو «ظلم وأساء»[2].

في الحديث سأل الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن كيفية الوضوء، فلم يكتف النبي ﷺ بذكرها نظريا، بل طبقها أمامه علىٰ أكمل وجه، فمتىٰ ما أمكن أن تنقل المعلومة باستخدام أكثر من حاسة [وهنا السمع والبصر] فإن هذا أقوىٰ في الثبات والتذكر.

ومن الأحاديث التي استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن النبي ﷺ مر بغلام وهو يسلخ شاة، فقال له رسول الله ﷺ: «تنح حتىٰ أريك» فأدخل يده بين الجلد واللحم، فدحس[3] بها حتىٰ توارت إلىٰ الإبط، ثم مضىٰ فصلىٰ للناس ولم يتوضأ»[4]، وهنا نص النبي ﷺ أن غرضه من هذا الفعل هو تعليم الفتىٰ

---

(١) قال البيهقي في السنن الكبرىٰ: ١/ ٧٩: «قوله: «نقص». يحتمل أن يريد به نقصان العضو، وقوله: «ظلم». يعنىٰ جاوز الحد والله أعلم».

(٢) سنن أبي داود برقم ١٣٥، و السنن الكبرىٰ للبيهقي: ١/ ٧٩، ورواية: «فأراه» انظر: مسند أحمد: ٢/ ١٨٠، والنسائي برقم ١٤٠، وابن ماجة برقم ٤٢٢.

(٣) أي أدخلها بين الجلد واللحم.

(٤) سنن أبي داود برقم: ١٨٥، وابن ماجه برقم: ٣١٧٩، وابن حبان في صحيحه: ٢/ ٢٤٠، السنن الكبرىٰ للبيهقي: ١/ ٢٢.

بالرؤية، وليس لأنه تضايق من عدم إجادة الفتىٰ للذبح. فهذه الكلمة «حتىٰ أريك»؛ تزيل الحاجز النفسي الذي قد يُحدثه الظن بأن النبيﷺ قد تضايق من فعله، والذي قد يجعله يقف موقف المدافع عن نفسه فيرفض التعليم.

❁ ❁ ❁

(٢٤)

اختيار الموقع المناسب لتعليم

عن أبي حازم بن دينار: «أن رجالا أتوا سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد امتروا في المنبر مم عوده؟ فسألوه عن ذلك، فقال: والله إني لأعرف مما هو، ولقد رأيته أول يوم وضع وأول يوم جلس عليه رسول الله ﷺ أرسل رسول الله ﷺ إلىٰ فلانة - امرأة قد سماها سهل -مري غلامك النجار أن يعمل[1] لي أعوادا أجلس عليهن إذا كلمت الناس، فأمرته فعملها من طرفاء الغابة، ثم جاء بها فأرسلت إلىٰ رسول الله ﷺ، فأمر بها فوضعت هاهنا، ثم رأيت رسول الله ﷺ صلىٰ عليها وكبر وهو عليها، ثم ركع وهو عليها، ثم نزل القهقرىٰ فسجد في أصل المنبر، ثم عاد، فلما فرغ أقبل علىٰ الناس فقال: أيها الناس إنما صنعت هذا لتأتموا ولتعلموا صلاتي»[2].

نص النبي ﷺ علىٰ سبب رغبته بوجود المنبر فقال: «أجلس عليهن إذا كلمت الناس». ولم يكتف بسماع صوته، ولما أراد النبي ﷺ أن يعلمهم كيفية الصلاة، وكان بالإمكان أن يذكر لهم صفتها بالقول؛ ولكنه ﷺ طبق الصلاة لهم[3] لكون ذلك أبلغ في تعليمهم، وقد نص النبي ﷺ علىٰ هذا القصد بقوله: «صنعت هذا لتأتموا ولتعلموا صلاتي»، وكذلك لم يطبقها النبي ﷺ علىٰ أرض المسجد[4] بل صلاها فوق المنبر

---

(١) هذه الرواية تشير إلىٰ أن هذا كان بطلب منه ﷺ وهذا يدل علىٰ حرصه ﷺ علىٰ أن يكون في موقع يراه في الصحابة ويتعلمون منه ﷺ.

(٢) صحيح البخاري برقم ٩١٧. ومسلم برقم ٥٤٤.

(٣) قال ابن حجر: «وفيه جواز قصد تعليم المأمومين أفعال الصلاة بالفعل». فتح الباري: ٢/ ٤٠٠،.

(٤) لقلة عدد من سيتمكن من رؤية فعلها من النبي ﷺ.

ليراه من حضر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولما أراد السجود ولم يكن المنبر هو المكان المناسب لرؤية السجود؛ نزل وسجد.

وفي صلاة النبي ﷺ علىٰ المنبر أمران جاء الأمر بتجنبهما في الصلاة:

الأول: ارتفاع الإمام عن المأمومين[1].

الثاني: الحركة في الصلاة. وهذا في نزوله للسجود وعودته لأعلىٰ المنبر.

وما كان ﷺ يفعل هذا إلا لأهمية أن يرىٰ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ صفة صلاته.

وفي اختياره ﷺ للمكان المناسب لتبليغ المعلومة ما روته أم الفضل بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أن ناسا تماروا عندها يوم عرفة في صيام رسول الله ﷺ فقال بعضهم: هو صائم وقال بعضهم: ليس بصائم فأرسلت إليه بقدح لبن وهو واقف علىٰ بعيره بعرفة فشربه»[2].

وفي هذا بيان لأهمية أن يراعي المعلم موقعه في درسه؛ ليتمكن أكبر عدد ممكن من الطلاب من مشاهدته والاستفادة من لغة الجسد لديه، وبهذا أيضا يتبين قصور أداء المعلم الذي يبقىٰ طوال الدرس قابعا خلف طاولته، يهذُّ درسه هذًّا، فلا يراه الطلاب، ولا يراهم، فلا يعلم من ينتبه له، ولا من انشغل بنفسه.

فصلاة ربي وسلامه علىٰ خير معلم، وأحرصه علىٰ هداية وتعليم صحبه وأمته.

---

(١) سنن أبىٰ داود برقم ٥٩٧: «أن حذيفة أم الناس بالمدائن علىٰ دكان، فأخذ أبو مسعود بقميصه فجبذه، فلما فرغ من صلاته قال: ألم تعلم أنهم كانوا ينهون عن ذلك؟ قال: بلىٰ قد ذكرت حين مددتنىٰ». والمسألة خلافية.

(٢) صحيح البخاري برقم ١٦٦١. ومسلم برقم ١١٢٣.

(٢٥)

التعليم بالألغاز

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «بينا نحن عند النبي ﷺ جلوس، إذ أتي بجمار نخلة، فقال وهو يأكله: إن من الشجر شجرة خضراء، لما بركتها كبركة المسلم، لا يسقط ورقها، ولا يتحات، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟

قال عبد الله: فوقع الناس في شجر البوادي، فقال القوم: هي شجرة كذا، هي شجرة كذا، ووقع في نفسي أنها النخلة، فجعلت أريد أن أقولها، فإذا أسنان القوم، فأهاب أن أتكلم وأنا غلام شاب، ثم التفت فإذا أنا عاشر عشر أنا أحدثهم أصغر القوم، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فسكت.

فلما لم يتكلما، قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: هي النخلة.

فلما قمنا قلت لعمر [أبي]: والله يا أبتاه، لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة، فقال: ما منعك أن تقولها؟ قلت: لم أركم تتكلمون، [لم أرك ولا أبا بكر تكلمتما]، وأنا غلام شاب، فاستحييت، فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئا، فسكت. قال عمر: لأن تكون قلتها أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا»[1].

---

(١) الحديث بهذا النص الكامل جمع رواياته الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالىٰ ٠ في كتابه الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم ص١٠٣. قال رحمه الله تعالىٰ: «رواه البخاري في أحد عشر موضعا في [صحيحه]، وانا أشير إليها مع ذكر عناوين الأبواب التي رواه فيها، لأن تلك العناوين تعد بمثابة شرح وجيز لمعاني الحديث. رواه في أربعة مواضع من كتاب العلم، في [باب قول المحدث: حدثنا وأخبرنا وأنبأنا] ١: ١٣٣، وفي [باب طرح الإمام المسألة علىٰ أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم] ١: ١٣٦، =

يظهر جليا في هذا الحديث الأسلوب النبوي في التعليم، وهو استخدام اللغز؛ لاستثارة دافعية المتعلم للمشاركة، حيث يحوي اللغز جوانب تستثير الدافعية، منها:

الأول: الغموض.

الثاني: التحدي والمنافسة. في حال كان مع غيره كالحال في الحديث هنا.

الثالث: الرغبة في الإنجاز.

ويلاحظ في عرض النبي ﷺ عدم الغموض الزائد؛ فَقُرْبِ الإجابة يحفز علىٰ المشاركة والمحاولة؛ بينما الغموض الشديد يضعف الحافز للصعوبة.

فأزكىٰ وأعطر صلاة وسلام علىٰ المبعوث رحمة وهدىٰ للعالمين.

❀ ❀ ❀

=

وفي [باب الفهم في العلم] ١: ١٥١، وفي [باب الحياء في العلم] ١: ٢٠٣. وفي كتاب البيوع، في [باب بيع الجمار وأكله] ٤: ٣٣٧. وفي كتاب التفسير، في [تفسير سورة إبراهيم] ٨: ٢٨٦. وفي موضعين من كتاب الأطعمة، في [باب أكل الجمار] ٩: ٤٩٢، وفي [باب بركة النخلة] ٩: ٤٩٥. وفي ثلاثة مواضع من كتاب الأدب، في [باب ما لا يستحيىٰ من الحق للتفقه في الدين] ١٠: ٤٣٥، ورواه مرة أخرىٰ فيه بلفظ آخر، وفي[باب إكرام الكبير، ويبدأ بالأكبر بالكلام والسؤال] ١٠: ٤٤٣».

(٢٦)

توضيح الفكرة بالأدوات

عن أبي سعيد الخدري: «أن النبي ﷺ غرز بين يديه غرزا، ثم غرز إلىٰ جنبه آخر، ثم غرز الثالث فأبعده، ثم قال: «هل تدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا الإنسان، وهذا أجله، وهذا أمله يتعاطىٰ الأمل والأجل، يختلجه دون ذلك»[1].

في بيانه ﷺ لحقيقة طول الأمل عند الإنسان مع قصر أجله استخدم عدة أساليب[2] ومنها؛ توضيح الفكرة من خلال بعض الأدوات، ففي هذا الحديث استخدم النبي ﷺ أعوادا يغرزها في الأرض، وهذا فيه تجسيد للفارق بين الأمل والأجل، إضافة للحركة المصاحبة للتوضيح مما يزيد الجذب للطالب، ولاشك في أن صورة الأعواد المغروزة أكثر وأقوىٰ انطباعا فيمن شاهد التطبيق، وقد استخدم النبي ﷺ في توضيح نفس الفكرة أداة أخرىٰ فعن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قال النبي ﷺ: هل تدرون ما هذه وما هذه، ورمىٰ بحصاتين؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذاك الأمل وهذاك الأجل»[3].

ومن الصور البليغة والتي ترسخ في الذهن لقوة الحركة في الأداة ما رواه أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن رسول الله ﷺ أخذ غصنا فنفضه فلم ينتفض، ثم نفضه فلم ينتفض، ثم

---

(١) مسند أحمد: ٣/ ١٨، وقال الأرناؤوط في. مسند أحمد ط الرسالة ١٧/ ٢١٢: «إسناده جيد».، قال الهيثمي: مجمع الزوائد: ١٠/ ٢٥٥: «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير علي بن علي الرفاعي، وهو ثقة».

(٢) لغة الجسد، والرسومات. وسبق ذكرها في بابها.

(٣) رواه الترمذي برقم: ٢٨٧٠. وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

نفضه فانتفض، فقال رسول الله ﷺ: إن سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، تنفض الخطايا كما تنفض الشجرة ورقها»[١].

ولشدة تأثر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بهذا الأسلوب مارسه بعضهم مع التابعين في تعليمهم فعن أبي عثمان[٢] قال: «كنت مع سلمان الفارسي تحت شجرة، وأخذ منها غصنا يابسا فهزه حتىٰ تحات ورقه، ثم قال: يا أبا عثمان، ألا تسألني لم أفعل هذا؟ قلت: ولم تفعله؟ فقال: هكذا فعل بي رسول الله ﷺ وأنا معه تحت شجرة، فأخذ منها غصنا يابسا، فهزه حتىٰ تحات ورقه فقال: يا سلمان: ألا تسألني لم أفعل هذا؟ قلت: ولم تفعله؟ قال: إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم صلىٰ الصلوات الخمس، تحاتت خطاياه، كما يتحات هذا الورق، وقال: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [طه: ١١٤]»[٣].

فأزكىٰ صلاة وسلام علىٰ المصطفىٰ المختار وآله وصحبة وزوجاته أجمعين.

❁ ❁ ❁

---

(١) مسند أحمد: ٣/ ١٥٢. قال المنذري: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح». الترغيب والترهيب: ٢/ ٤١٩. قال الأرناؤوط: مسند أحمد ط الرسالة (٢٠/ ١٤): «إسناده حسن في المتابعات والشواهد».

(٢) هو عبد الرحمن بن مل النهدي.

(٣) مسند أحمد: ٥/ ٤٣٧. قال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني في الأوسط والكبير. وفي إسناد أحمد علي بن زيد، وهو مختلف في الاحتجاج به، وبقية رجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد: ١/ ٢٩٨، قال الأرناؤوط: «حسن لغيره». مسند أحمد ط الرسالة (٣٩/ ١١١).

(٢٧)

الثناء على سؤال المتعلم وأثره

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «قلت: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك؛ لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه، أو نفسه»(١).

الثناء على المرء في أي أمر يخصه يبعث فيه الثقة في النفس والدافعية لتكرار العمل، والتعلق بالمُثني، وشد الانتباه للتركيز على الإجابة، وهذا ما فعله النبي ﷺ في تعليقه على سؤال أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل الإجابة عن السؤال.

وقد مر معنا في حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابق هذا الأسلوب فقد قال معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا رسول الله، ائذن لي أسألك عن كلمة قد أمرضتني وأسقمتني وأحزنتني. فقال نبي الله ﷺ: سلني عم شئت. قال: يا نبي الله، حدثني بعمل يدخلني الجنة لا أسألك عن شيء غيرها. قال نبي الله ﷺ: بخ بخ بخ لقد سألت بعظيم، لقد سألت بعظيم، ثلاثا »(٢).

وقد مارس النبي ﷺ هذا الأسلوب ووظفه بشكل أكبر، في حديث أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن أعرابيا عرض لرسول الله ﷺ وهو في سفر، فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها ثم قال: يا رسول الله، أو يا محمد، أخبرني بما يقربني من الجنة، وما يباعدني من

---

(١) رواه البخاري برقم: ٩٩، ورقم ٦٥٧٠.

(٢) مسند أحمد: ٥/ ٢٤٥ وسبق الكلام عليه.

النار؟ قال: فكف النبي ﷺ ثم نظر في أصحابه ثم قال: لقد وفق أو لقد هدي قال: كيف قلت؟ قال: فأعاد، فقال النبي ﷺ: تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم، دع الناقة».[1].

فتأمل كيف وظف النبي ﷺ هذا الموقف؛ فبعد السؤال يفترض أن تأتي الإجابة، لكن النبي ﷺ أراد أن يثني علىٰ هذا السؤال، وأن يوظف الثناء بشكل كبير، وأن يقدمه بأسلوب يلفت ويجذب أكبر عدد ممكن للاستفادة من الجواب، فأول رد فعل من النبي ﷺ كان السكوت [فكف النبي ﷺ] وهذا جاذب للسائل ولكل من ينتظر الإجابة بعد سماعه للسؤال، [ثم نظر في أصحابه] وأثنىٰ علىٰ السؤال: [لقد وفق أو لقد هدي] وفي مخاطبة الصحابة رضي الله عنهم بهذا النظر إليهم، جذب لمن لم ينتبه لنظر النبي ﷺ، فالصوت ينبه بشكل أكبر، بالإضافة إلىٰ ما في الثناء من تحفيز للسائل، وبعد أن اكتمل الجذب لكل من كان حاضرا للموقف، وتهيئة النفوس لسماع الإجابة، جاءت الإجابة كواسطة العقد وكالتاج ليوضع علىٰ رأس هذا الأسلوب الشيق في تبليغ الفائدة.

ومن هذا ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما فقال: «سمعت رسول الله ﷺ، يقول: من كان له فرطان من أمتي، دخل الجنة فقالت عائشة: بأبي، فمن كان له فرط؟ فقال: ومن كان له فرط يا موفقة، قالت: فمن لم يكن له فرط من أمتك؟ قال: فأنا فرط أمتي، لم يصابوا بمثلي»[2].

---

(١) رواه مسلم برقم: ١٣.

(٢) رواه أحمد: ١/ ٣٣٤، وحسنه الأرناؤوط في تعليقه عليه والترمذي برقم [١٠٦٢] وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد ربه بن بارق وقد روىٰ عنه غير واحد من الأئمة، وضعفه الألباني في تحقيقه له، والبيهقي في السنن الكبرىٰ: ٤/ ٦٨، قال ابن حجر في فتح الباري لابن حجر: ٣/ ١١٩: «لكن وقع في بعض طرقه ذكر الواحد.. أخرجه الترمذي.. وعنده من حديث بن عباس رفعه =

فصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ خير معلم، محمد بن عبدالله ما هل مطر، واهتز غصن شجر، وفاح عطر زهر.

❀ ❀ ❀

=

من كان له فرطان من أمتي أدخله الله الجنة فقالت عائشة فمن كان له فرط قال ومن كان له فرط الحديث وليس في شيء من هذه الطرق ما يصلح للاحتجاج».

(٢٨)

شعور المتعلم باهتمام المعلم به

عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن النبي ﷺ أخذ بيده يوما، ثم قال: يا معاذ إني لأحبك. فقال له معاذ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله وأنا أحبك. قال: أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[١].

يظهر جليا مدىٰ عناية النبي ﷺ بمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما لمس منه من فقه ومعرفة حتىٰ إنه ﷺ قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر.. وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل».[٢] وقد تجلت هذه العناية في هذا الحديث من خلال: أخذه بيده، وهذا يشعر المتعلم بمدىٰ القرب والاهتمام، ويزيل الحواجز النفسية بين المعلم والمتعلم، وكذلك تجلت من خلال قوله ﷺ: «يا معاذ إني أحبك». فأي إقبال سيكون لدىٰ المتعلم، وإي دافعية وتركيز ستكون لديه لما سيلقىٰ عليه من معلمه المحب المشفق؟

ومن الأحاديث التي فيها إظهار النبي ﷺ الاهتمام بالمتعلم ما ذكر الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود حين قال: «علمني رسول الله ﷺ وكفي بين كفيه التشهد كما يعلمني السورة من القرآن ».[٣].

وتأمل ذكره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للصفة التي كان عليها حين علمه ﷺ التشهد، ولولا تأثيرها في نفسه لما ذكرها.

---

(١) مسند أحمد: ٥/ ٢٤٤. وفي الحديث: «وأوصىٰ بذلك معاذ: الصنابحي، وأوصىٰ الصنابحي: أبا عبد الرحمن، وأوصىٰ أبو عبد الرحمن: عقبة بن مسلم».

(٢) مسند أحمد: ٣/ ٢٨١.

(٣) صحيح البخاري برقم ٦٢٦٥.

ومن هذا حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كنت خلف رسول الله ﷺ يوما، فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»[1].

والإرداف فيه تمييز وخصوصية، ولهذا ذكرها ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ومما ينبغي مراعاته في هذا الجانب العرف، في تقبل وتفهم العبارات والتصرفات التي تصدر من المعلم، ومدىٰ مناسبتها.

❁ ❁ ❁

(١) سنن الترمذي برقم: ٢٥١٦. وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢٩)

استغلال الأحداث للتعليم

عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قدم علىٰ النبي ﷺ سبىٰ، فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي ﷺ: أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا وهي تقدر علىٰ أن لا تطرحه، فقال: الله أرحم بعباده من هذه بولدها»(١).

مما يدل علىٰ تمكن المعلم من مادته وأهدافه، ووضوحها عنده واهتمامه بها؛ أن تكون حاضرة في ذهنه في كل حين، فمتىٰ ما وقع حدث، أو جاءت عبارة تناسب أهدافه، وظفها لتحقيق الهدف.

وفي حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ظهر بشكل قوي توظيف النبي ﷺ لحدث المرأة التي كانت ترضع الأطفال رحمة وشفقة بهم، فكيف بابنها، وهل يمكن من كانت بهذه الحال مع غير ولدها أن تلقي ولدها في النار؟ فكان الجواب بالنفي دون تردد، هنا تقدم المعلومة بعد تهيئة العقول والعواطف لتقبلها، والإيمان بها.

ومن الأحاديث التي وظف النبي ﷺ حدثا عارضا لتوضيح الفكرة.

حديث جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بيان وضوح رؤية المؤمنين لربهم فقال: «كنا عند النبي ﷺ فنظر إلىٰ القمر ليلة، - يعني البدر - فقال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته»(٢).

---

(١) صحيح البخاري - برقم ٥٩٩٩، وصحيح مسلم - برقم ٢٧٥٤.

(٢) صحيح البخاري - برقم ٥٥٤ ومسلم برقم ٦٣٣. والمراد تشبيه الرؤية بالرؤية في وضوحها وعدم التزاحم ولا الغبش، لا تشبيه المرأي بالمرأي.

ومن هذا الباب ما رواه جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن رسول الله ﷺ مر بالسوق داخلا من بعض العالية والناس كنفته، فمر بجدي أسك ميت، فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟ فقالوا: ما نحب أنه لنا بشئ وما نصنع به؟ قال: أتحبون أنه لكم؟ قالوا: والله لو كان حيا كان عيبا فيه لأنه أسك فكيف وهو ميت؟ فقال: فوالله للدنيا أهون علىٰ الله من هذا عليكم». [1].

❀ ❀ ❀

(١) صحيح مسلم برقم ٢٩٥٧.

(٣٠)

القدرة على تجسيد الصور المجردة

عن حنظلة الأسيدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت؟ يا حنظلة؟ قال قلت: نافق حنظلة، قال سبحان الله ما تقول؟ قال قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتىٰ كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرا، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقىٰ مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتىٰ دخلنا علىٰ رسول الله ﷺ قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال: رسول الله ﷺ وما ذاك؟ قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتىٰ كأنا رأىٰ عين.. فقال رسول الله: والذي نفسي بيده إن لو تدومون علىٰ ما تكونون عندي وفي الذكر؛ لصافحتكم الملائكة علىٰ فرشكم، وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات»[1].

صرح حنظلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمدىٰ قدرة النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ تصوير المجردات بالعبارات حتىٰ كأنها رأي عين، وهذا يحتاج من المعلم قدرة لغوية عالية، ومعرفة ما يناسب المتعلم، وقدرته علىٰ التشبيه وتبسيط الأفكار المعقدة.

وقد يكون تجسيد الأفكار المجردة من خلال تقريب المعنىٰ بأمر محسوس، ولو لم ينطبق علىٰ المثال، كما في حديث جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن رسول الله ﷺ مر بالسوق داخلا من بعض العالية والناس كنفته، فمر بجدي أسك ميت، فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟ فقالوا: ما نحب أنه لنا بشئ وما

---

(١) رواه مسلم برقم ٢٧٥٠.

نصنع به؟ قال: أتحبون أنه لكم؟ قالوا: والله لو كان حيا كان عيبا فيه لأنه أسك فكيف وهو ميت؟ فقال: فوالله للدنيا أهون علىٰ الله من هذا عليكم»[١].

وحديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قدم علىٰ النبي ﷺ سبىٰ، فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي ﷺ: أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا وهي تقدر علىٰ أن لا تطرحه، فقال: الله أرحم بعباده من هذه بولدها»[٢].

ومن صور تجسيد المعاني المجردة وضرب المثال لها حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول ذلك يبقي من درنه؟ قالوا: لا يبقي من درنه شيئا. قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا»[٣].

فيارب سلم وصل وبارك علىٰ المبعوث رحمة للعالمين.

❁ ❁ ❁

(١) صحيح مسلم برقم ٢٩٥٧.

(٢) صحيح البخاري ـ برقم ٥٢٨، و مسلم-برقم ٦٦٧.

(٣) صحيح البخاري ـ برقم ٥٢٨، وصحيح مسلم برقم ٦٦٧.

(٣١)

اختيار الوقت المناسب لعرض الفكرة

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جاء الأسلمي[١] إلى نبي الله ﷺ فشهد على نفسه أنه أصاب امرأة حراما أربع مرات كل ذلك يعرض عنه النبي ﷺ فأقبل في الخامسة فقال: أنكتها؟ قال: نعم. قال: حتى غاب ذلك منك في ذلك منها؟ قال: نعم. قال: كما يغيب المرود في المكحلة والرشاء في البئر؟ قال: نعم. قال: فهل تدري ما الزنا؟ قال: نعم أتيت منها حراما ما يأتي الرجل من امرأته حلالا. قال: فما تريد بهذا القول؟ قال: أريد أن تطهرني. فأمر به فرجم فسمع النبي ﷺ رجلين من أصحابه يقول أحدهما لصاحبه: انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب. فسكت عنهما ثم سار ساعة، حتى مر بجيفة حمار شائل برجله[٢] فقال: أين فلان وفلان؟ فقالا: نحن ذان يا رسول الله. قال: انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار. فقالا: يا نبي الله من يأكل من هذا؟ قال: فما نلتما من عرض أخيكما آنفا أشد من أكل منه، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينقمس[٣] فيها»[٤].

لم يعلق النبي ﷺ على كلامهما في الصحابي المرجوم بل انتظر حتى جاءت الفرصة لتوضيح الخطأ الذي فعلاه بشكل أقوى مما لو كان ﷺ ذكره لهما مباشرة، وبشكل نظري. فكانت صورة هذا الحمار وقد انتفخ بعد مضي وقت على موته،

---

(١) ماعز بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رافع رجله.

(٣) أي ينغمس.

(٤) رواه أبو داود برقم: ٤٤٢٨، ورواه البيهقي في الكبرى: ٨/ ٢٢٧، وفي مسند أبي يعلى (٦/ ٥٢٤.

وطلب النبي ﷺ منهما أكله، أبلغ صورة في تبشيع حال من يغتاب أخاه.

وتأجيل التعليق، أو توصيل المعلومة راجع لتقدير المعلم، فإما أن يرىٰ الوقت غير مناسب لظرف الطالب، أو ظرفه هو، أو يكون في ذهنه طريقة لتوصيل المعلومة بشكل أفضل لم تجهز إلىٰ الآن، فينتظر إلىٰ أن يحين الوقت المناسب للعرض.

فأكمل وأفضل صلاة وسلام علىٰ المبعوث هاديا ومبشرا ونذيرا.

❁ ❁ ❁

(٣٢)

أخلاقيات المعلم

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال ﷺ: «إن الله لم يبعثنيٰ معنتا ولا متعنتا، ولكن بعثني معلما ميسرا»[١].

هذا الحديث من القواعد العامة في منهج وأخلاق المعلم، فنفىٰ ﷺ عن شخصيته صفات تعارض كونه مبلغا وهاديا للبشرية؛ فنفىٰ أن يكون [معنتا أو متعنتا] وأصل العنت المشقة فقيل [معنتا] الذي يوقع العنت بغيره، و[المتعنت] هو الذي يحمل غيره علىٰ العنت، وقيل: [معنتا] أي جبلة وطبع، [متعنا] أي متكلف ومتصنعا للتعنت. وقيل: [متعنتا] أي طالبا لزلتهم، [٢].وفي المقابل أثبت له صفتي التعليم، والتيسير في الأمور.

وقد قال ﷺ: «**إن الله يحب الرفق في الأمر كله**»[٣]، وفي رواية قال ﷺ: «**يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي علىٰ الرفق ما لا يعطي علىٰ العنف، وما لا يعطي علىٰ ما سواه**»[٤].

فمن ظن أن الشدة والعسر في الأمور أدعىٰ لتعلم الصلابة فقد أخطأ سنة المصطفىٰ عليه خير صلاة وسلام من ربه في علاه.

---

(١) صحيح مسلم برقم: ٣٧٦٣.

(٢) شرح الأُبي علىٰ مسلم: ٥/ ٢١٠، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: ٩/ ١٦٣.

(٣) صحيح البخاري برقم ٦٢٥٦، ومسلم برقم ٢١٦٥، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٤) صحيح مسلم برقم ٢٥٩٣.

(٣٣)

تفريد التعليم [التعليم الفردي]

قال أبو رفاعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١]: «انتهيت إلىٰ النبي ﷺ وهو يخطب، قال فقلت: يا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه، لا يدري ما دينه، قال: فأقبل عليَّ رسول الله ﷺ وترك خطبته، حتىٰ انتهىٰ إلي، فأتىٰ بكرسي حسبت قوائمه حديدا، قال: فقعد عليه رسول الله ﷺ وجعل يعلمني مما علمه الله، ثم أتىٰ خطبته فأتم آخرها»[٢].

كان ﷺ في خطبته يعلم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فلما جاء هذا الصحابي، أخبر عن حاجته لتعليمه أمور دينه، وعلل جهله، أو حاجته بكونه غريبا، هنا لم يأمره النبي ﷺ بالجلوس مع الصحابة والاستماع إلىٰ الخطبة، وبلا شك أنها كان في أمر نافع لهم، فلعل ذلك والله تعالىٰ أعلم لأن الرجل كان غريبا ويجهل الكثير من أولويات أحكام الإسلام، بسبب بعده عن رسول الله ﷺ، بينما كانت الخطبة في أمور ليس لها ذات الأولوية بالنسبة لهذا المتعلم الجديد؛ ولذا خصه ﷺ بجلسة خاصة، يعلمه فيها بشكل فردي ما يحتاجه، ولعل هذه الأمور كانت من المقررات المعروفة لدىٰ الصحابة الذي يخالطون النبي ﷺ فلذا لم يجعل الكلام عاما من منبره، أو أنه ممن يناسبه الخطاب الخاص، ويكون تأثير ذلك عليه أكبر، لذا أحضر كرسيا للجلوس معه.

فربنا الله في علاك صلِّ وسلم علىٰ من بعثته لنا هاديا ومعلما وبشيرا.

---

(١) أبو رفاعة العدوي: تميم بن أسد، بفتحتين، وقيل: ابن أسيد، بفتح فكسر، وقيل: بالضم، مصغر. شرح المسند عن السندي

(٢) صحيح مسلم برقم: ٨٧٦ مسند أحمد: ٥/ ٤٦٤.

(٣٤)

عدم إملال المتعلم

«كان عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يذكِّر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم[١]، قال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم، وإني أتخولكم بالموعظة؛ كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا»[٢].

لمعرفته ﷺ بالنفوس وما جبلت عليه من الملل والسآمة؛ حتىٰ مما تعلم نفعه وفائدة؛ كان لا يكثر عليهم الوعظ، بل يتعاهدهم بالموعظ في أوقات متفرقة. وهكذا المعلم حتىٰ لو أتقن صنعة التعليم وكان يقدمها بأسلوب جيد؛ ينبغي أن يعلم بأن النفوس تكل وتمل، ولا بد له من الراحة والدعة والحركة. وقد روي أن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان إذا أكثر عليه في مسائل القرآن والحديث يقول: أحمضو، يريد خذوا في الشعر وأخبار العرب[٣].

ومن الملحوظات الجميلة في الحديث طلب الرجل من ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يذكرهم كل يوم، مما يشير إلىٰ تفاوت قدرات ورغبات الطلبة، ومن قدرته علىٰ

---

(١) في رواية لمسلم يقول: «إنا نحب حديثك ونشتهيه ولوددنا أنك حدثتنا كل يوم» برقم: ٢٨٢١.

(٢) صحيح البخاري برقم: ٧٠، ومسلم برقم: ٢٨٢١.

(٣) المراح في المزاح ص٢٩، غذاء الأرواح بالمحادثة والمزاح ص١٨. في جمع الجواهر في الملح والنوادر لإبراهيم القيرواني ص٢: «يقال: أحمض القوم إحماضا: إذا أفاضوا فيما يؤنسهم من الكلام، والأصل فيه هو الحمض الذي فيه فاكهة الإبل، وهي أنها ترعىٰ الخلة، وهي ما حلا من النبات، فإذا ملتها، مشقت من الحمض مشقات، ثم عادت إلىٰ الخلة، والحمض: ما ملح من النبات».

مواصلة التعلم؛ فينبغي للمعلم ألا يراعي مثل هؤلاء ويهمل من ليس لديه قدرة أو رغبة؛ وهذا ما فعله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويخطئ بعض المعلمين عندما يرى هذا التفاوت بين طلابه؛ يبدأ بلوم من ضعفت قدرته، ويتهمه بالتقصير، والصحيح أن هذا قصور في نظرة المعلم التربوية لتفاوت القدرات، فالذي ينبغي مراعات الأقل عندما يسمح الوقت والمنهج.

وقد قيل: الضعيف أمير الركب[1].

❀ ❀ ❀

(١) ورد ذكره في بعض كتب الأدب ولا أصل له.

(٣٥)

التحفيز بأهمية المعلومة

عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنت أقود برسول الله ﷺ ناقته في السفر فقال لي: يا عقبة ألا أعلمك خير سورتين قرئتا؟ فعلمني ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ قال: فلم يرني سررت بهما جدا، فلما نزل لصلاة الصبح صلى بهما صلاة الصبح للناس فلما فرغ رسول الله ﷺ من الصلاة التفت إلي فقال: يا عقبة كيف رأيت»(١).

ذكر رسول الله ﷺ لعقبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فضل المعوذتين بشكل مباشر، ومن خلال رد فعل عقبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عرف ﷺ أنه لم يفرح بهذه المعلومة وتهاون بها، ولعل هذا والله تعالى أعلم لأنها معروفة للجميع وسهلة الذكر ولا مشقة فيها؛ فلعل النبي ﷺ ذكره له من باب التخفيف عليه، بينما ظن في نفسه أنه قادر على ما هو أصعب وأثقل منها، فلم يكرر عليه النبي ﷺ الأسلوب، بل أراه مدى حفاوته هو بها من خلال صلاته بها في صلاة الفجر، والذي حث الله تعالى على طول القراءة فيه فقال تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]. فتأمل روعة التقديم وتفهم نفسية المتعلم وتنويع أساليب الخطاب لتكون أكثر إقناعا.

ومن أساليب بيان أهمية المعلومة بيان مكانتها وفضلها كما في حديث عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته فأخذت بيده، قال: فقلت: يا رسول الله، ما نجاة المؤمن؟ قال: يا عقبة، احرس لسانك، وليسعك بيتك، وابك على

---

(١) سنن أبي داود برقم: ١٤٦٢، والنسائي برقم ٥٤٣٨.

خطيئتك، قال: ثم لقيني رسول الله ﷺ فابتدأني فأخذ بيدي، فقال: يا عقبة بن عامر، ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم؟ قال: قلت: بلىٰ، جعلني الله فداك. قال: فأقرأني ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ثم قال: يا عقبة، لا تنساهن، ولا تبت ليلة حتىٰ تقرأهن قال: فما نسيتهن قط منذ قال: لا تنساهن، وما بت ليلة قط حتىٰ أقرأهن»[1].

وفي حديث عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «قال لي رسول الله ﷺ اقرأ: يا جابر. قلت: وماذا أقرأ بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ قال: اقرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾. فقرأتهما فقال: اقرأ بهما ولن تقرأ بمثلهما»[2].

ويدخل في هذا كل ما ذكر من فضائل الأعمال والأقوال.

❀ ❀ ❀

(١) مسند أحمد: ٤/ ١٤٨. انظر في هذه الروايات كتاب الآداب الشرعية لابن مفلح الحنبلي: (٣/ ٢٣٢).

(٢) رواه النسائي برقم ٥٤٤٣.

(٣٦)

تعلم ما يحتاج له بقدره

زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود قال: إني والله ما آمن يهود علىٰ كتاب. قال: فما مر بي نصف شهر حتىٰ تعلمته له. قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلىٰ يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم»[1].

في هذا الحديث تبرز عدة قضايا في التعليم:

الأولىٰ: الاستفادة من التعليم لا تكون في الثقافة فقط، بل في كل النواحي بما فيها السياسة والعسكرية وغيرها.

الثانية: تعليم العلوم والمعارف يكون بقدر الحاجة بها، وفي الحديث نلحظ تقيد الحاجة من جانبين:

الأول: عدد المتعلمين؛ حيث لم يعمم النبي ﷺ طلب تعلمها، بل قصره علىٰ من يحتاجه وهو الحاكم هنا لوجود المراسلات، وكذلك قد تضيق أو تتسع الحاجة باختلاف المكان والزمان.

الثاني: قيدت الحاجة بلغة اليهود [السريانية] ولم تعمم في جميع اللغات لوجود الاحتكاك المباشر مع هذه الأمة. ويقال هنا ما قيل في القيد الأول.

---

(١) رواه الترمذي في سننه برقم: ٢٧١٥. وقال: «هذا حديث حسن صحيح. وقد روي من غير هذا الوجه عن زيد بن ثابت رواه الأعمش، عن ثابت بن عبيد الأنصاري، عن زيد بن ثابت، قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم السريانية».

وفي زماننا قد تكون الحاجة للغات الأخرىٰ أكبر لأمرين: تقدم الأمم الكافرة في الصناعات بعامة، مما يجعل الاستفادة من منتجاتهم حاجة للتعلم، **والثاني** تقارب الأمم وكثرة الاحتكاك بشعوب مختلفة من خلال قنوات التواصل الحديثة. مما زاد في حاجة التعليم للعديد من اللغات.

وهنا تنبيه وهو من خلال ما سبق يظهر جليا الخلل الذي يمارسه بعض المسلمين من جعل تعلم لغات الأمم المتغلبة في هذه الأعصر؛ والحديث بها في الحياة العامة، مجال افتخار وتباه. ولا شك في خطأ هذا الفعل من الجانب الشرعي، والجانب الحضاري لأمة تحترم مكوناتها، أو تسعىٰ لرفع الضعف عنها، ومنافسة الأمم.

❁ ❁ ❁

(٣٧)

الحكمة ضالة المؤمن

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان ناس من الأسرىٰ يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة.

قال: فجاء غلام يوما يبكي إلىٰ أبيه، فقال: ما شأنك؟ قال: ضربني معلمي قال: الخبيث، يطلب بذحل بدر[١] والله لا تأتيه أبدا[٢]»[٣].

كانت العرب أمة أمية لا تقرأ ولا تحسب، ويقل فيها من يعرف القراءة والكتابة، ولما لمعرفة القراءة والكتابة من أهمية في بناء الأمة، فقد اشترط النبي ﷺ علىٰ أسارىٰ قريش بعد معركة بدر، ممن لم يستطع أن يفادي نفسه؛ لفكاكهم من الأسر؛ تعليم صغار المسلمين الكتابة.

وهذا مشعر باهتمام النبي ﷺ بهذه المهارة[٤]، ولو لم تكن الحاجة قوية؛ لما رضي ﷺ أن يعلم أبناء المسلمين من قد يؤثر فيهم[٥]. وقد خفف المخاطرة من

---

(١) والذحل: الثأر أو العداوة والحقد، وكان ذلك منه لهزيمتهم في غزوة بدر.

(٢) وعدم اتيان الصغير للأسير يفوت فرصة الفكاك من الأسر عليه.

(٣) مسند أحمد: ١/ ٢٤٧، والبيهقي في الكبرىٰ: ٦/ ٣٢٢، وروىٰ ابن سعد في الطبقات ٢/ ٢٢. عن عامر الشعبي قال: «كان فداء أسارىٰ بدر أربعة آلاف إلىٰ ما دون ذلك، فمن لم يكن عنده شيء أمر أن يعلم غلمان الأنصار الكتابة». وهو مرسل. وانظر «أقضية الرسول ﷺ» لابن الطلاع ص١٩٩-٢٠٠.، والحاكم ٢/ ١٤٠.

(٤) وكذلك كل ما يستفاد منهم فيما سوىٰ الدين.

(٥) وتذكر أنه ﷺ ابن بيئة لا تهتم بهذا، وأنه لم يزل في بداية تكوين الدولة المسلمة، مما يدلك علىٰ منهجية النبي ﷺ في بناء دولته.

تعليمهم لأبناء المسلمين؛ كون ذلك تحت نظر وحكم المسلمين. فبأبي وأمي هذا القائد العظيم، وصلاة وسلاما عليه ممن ألهمه وسدده للقيام بهذه الأمة التي لم ير التاريخ مثلها بين الأمم.

❁ ❁ ❁

(٣٨)

تعزيز السلوك الجيد

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «أن النبي ﷺ دخل الخلاء، فوضعت له وضوءا قال: من وضع هذا؟ فأخبر فقال: اللهم فقهه في الدين»[١].

من أساليب تثبيت السلوك الجيد وتعزيزه[٢]؛ الثناء عليه وبلوغ الثناء للموجه له، ولا يخفىٰ الملمح الذي بين نوع الثناء، والسلوك الجيد في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. حيث أشار سلوكه لتفطنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لحاجة النبي ﷺ للوضوء بعد قضاء الحاجة، فناسب الدعاء له بالفقه. وقد تكرر مثل هذا مع ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أتيت النبي ﷺ وهو يصلي من آخر الليل فقمت وراءه، فأخذني فأقامني حذاءه، فلما أقبل علىٰ صلاته انخنست فلما انصرف قال: ما لك؟ أجعلك حذائي فتخنس، قلت: ما ينبغي لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسول الله، فأعجبه فدعا الله أن يزيدني فهما وعلما»[٣].

وسبق من حديث أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قال رسول الله ﷺ: يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: يا أبا

---

(١) البخاري برقم ١٤٣، ومسلم برقم ٢٤٧٧.

(٢) وهذا أعم من تعزيز السؤال والذي سبق الكلام عليه في حديث أبي هريرة: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك». ولم يجعلا في باب واحد لأهمية السؤال ومحوريته في العملية التعلمية وكثرته في التعليم.

(٣) المستدرك للحاكم: ٣/ ٥٣٤. وقال: ««هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة » ووافقه الذهبي، ومسند أحمد: ١/ ٣٣٠»، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٩/ ٢٨٤. وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. قال: فضرب في صدري وقال: والله ليهنك العلم أبا المنذر»[١].

فكان أبي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعد ذلك كما قال عنه ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر.. وأقرؤها لكتاب الله أبي»[٢].

وثبت في «الصحيح» أن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «أبي اقرؤنا»[٣].

فكان تعزيزه ﷺ للشخص بعد الإجابة، وكان متناسبا مع ميول وخصائص الشخص، مما يدلك علىٰ عمق معرفة النبي ﷺ بصحابته، وأثر هذا التعزيز علىٰ منهجهم بعد ذلك.

أفضل صلاة وأكمل تسليم عليه وعلىٰ صحابته الغر الميامين.

❁ ❁ ❁

(١) صحيح مسلم برقم ٨١٠.

(٢) مسند أحمد: ٣/ ٢٨١.

(٣) صحيح البخاري برقم: ٥٠٠٥.

(٣٩)

الدعـــــاء

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «ضمني النبي ﷺ إلىٰ صدره، وقال: اللهم علمه الحكمة»[١].

هذا الأسلوب من الأساليب التربوية التي تفتقدها مناهج التربية الغربية في العصور المتأخرة [الأساليب المبنية علىٰ العقائدة الدينية]؛ حيث غلب علىٰ مناهجها المعاصرة المبادئ اللادينية، لأسباب ودواع عديدة فسبَّب ذلك قصورا حادا في نظرياتها التربوية، ومن هذا أسلوب الدعاء. والذي ظهر جليا في توجيه النبي ﷺ لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد كان دعاء النبي ﷺ له علىٰ نوعين:

الأول: ما كان لسبب وحادث ومنه:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ دخل الخلاء، فوضعت له وضوءا قال: «من وضع هذا فأخبر فقال: **اللهم فقهه في الدين**»[٢].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «أتيت النبي ﷺ وهو يصلي من آخر الليل فقمت وراءه، فأخذني فأقامني حذاءه، فلما أقبل علىٰ صلاته انخنست فلما انصرف قال: ما لك؟ أجعلك حذائي فتخنس، قلت: ما ينبغي لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسول

---

(١) البخاري برقم ٣٧٥٦، ومسلم برقم ٢٤٧٧. وفي رواية قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ضمني رسول الله ﷺ وقال: اللهم علمه الكتاب» البخاري برقم ٧٥.

(٢) البخاري برقم ١٤٣، ومسلم برقم ٢٤٧٧.

الله، فأعجبه فدعا الله أن يزيدني فهما وعلما»[١].

عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال «: بعثني النبي ﷺ إلىٰ اليمن قاضيا. فقلت: تبعثني إلىٰ قوم وأنا حدث السن ولا علم لي بالقضاء؟ فوضع يده علىٰ صدري، فقال: ثبتك الله وسددك، إذا جاءك الخصمان فلا تقض للأول حتىٰ تسمع من الآخر، فإنه أجدر أن يبين لك القضاء قال: فما زلت قاضيا» [٢].

الثاني: ما كان دون سبب أو حادثة ومنها حديث الباب.

وحديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مسح النبي ﷺ رأسي **ودعا** لي بالحكمة» [٣].

ولا شك في أن دعاء الله تعالىٰ القادر علىٰ كل شيء؛ قادر علىٰ صرف رغبة وتوجه المتعلم لما هو خير له، وهو القادر علىٰ تجنيب المتعلم ما يصرفه عن تحقيق النجاح والفلاح في حياته، وهو القادر علىٰ توفير وتيسير أسباب تفوقه ونجاحه،،،.

وفي إظهار الدعاء أمام المتعلم ربط له بالله تعالىٰ، وبيان له بأن نجاحه وتوفيقه هو من عند الله تعالىٰ لا بحوله ولا بقوته.

وفيه كذلك كبح لجماح وغرور الشخصية المتميزة الموهوبة حتىٰ لا تغتر بتفوقها علىٰ أقرانها، وذلك بإظهار ضعفه وحاجته للعون من الله وأن توفيقه ما هو إلا

---

(١) المستدرك للحاكم: ٣/ ٥٣٤. وقال: « «هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة » ووافقه الذهبي، ومسند أحمد بن حنبل: ١/ ٣٣٠،، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٩/ ٢٨٤. وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) مسند أحمد: ١/ ١٤٩، السنن الكبرىٰ للبيهقي: ١٠/ ٨٦، المستدرك: ٤/ ٩٣. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، قال الذهبي في التلخيص: صحيح. فضائل الصحابة للإمام أحمد: ٢/ ٧٢١ و٨٠١.

(٣) مسند أحمد: ١/ ٢١٤. قال الأرناؤوط: « إسناده صحيح علىٰ شرط البخاري، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عكرمة فمن رجال البخاري. خالد: هو ابن مهران الحذاء». مسند أحمد ط الرسالة ٣/ ٣٤٠.

لتوفيق الله له.

وليس معنىٰ هذا ترك بذل الأسباب الحسية لتحصيل العلم، وخير شاهد علىٰ ذلك هو ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نفسه. حيث ضرب أروع الأمثلة في الجهد والحرص في تحصيل العلم ومن هذا ما رواه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن نفسه فقال: «لما قبض النبي ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب النبي ﷺ عن حديث رسول الله ﷺ فإنهم كثير، قال: العجب لك يا ابن عباس، أترىٰ الناس يحتاجون إليك وفي الأرض من ترىٰ من أصحاب رسول الله؟ قال: فترك ذلك، وأقبلت علىٰ المسألة وتتبع أصحاب النبي ﷺ، فإن كنت ليبلغني الحديث عن رجل سمع الحديث من رسول الله فأجده قائلا: فأتوسد ردائي علىٰ بابه تسفي الرياح في وجهي حتىٰ يخرج، فيقول: ما جاء بك يا ابن عم رسول الله؟ فأقول: بلغني أنك تحدثه عن النبي ﷺ فأحببت أن أسمعه منك، فيقول: فهلا بعثت إلي حتىٰ آتيك، فأقول: أنا كنت أحق أن آتيك، فكان ذلك الرجل يمر بي بعد، والناس يسألوني فيقول: أنت كنت أعقل مني»[1].

وقال الشعبي: «صلىٰ زيد بن ثابت علىٰ جنازة، ثم قربت له بغلة ليركبها، فجاء ابن عباس فأخذ بركابه، فقال له زيد: خل عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال ابن عباس: «هكذا يفعل بالعلماء والكبراء» [2].

فكان هذا الحبر الإمام رضوان الله عليه وعلىٰ والده ثمرة من ثمار تربية وتعليم خير خلق الله وأزكاهم صلىٰ الله عليه وسلم ما هب نسيم، وهطل غيم.

---

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل: ٢/ ١٢٣٩. قال الهيثمي: «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٩/ ٢٧٧.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٥١٤ وقال ابن عبد البر: « وزاد بعضهم في هذا الحديث: إن زيد بن ثابت كافأ ابن عباس علىٰ أخذه بركابه أن قبل يده وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ » وهذه الزيادة من أهل العلم من ينكرها.

(٤٠)

تقدير واحترام المتعلم

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقا، وكان لي أخ يقال له: أبو عمير قال: أحسبه فطيم (فطيما) وكان إذا جاء قال: يا أبا عمير، ما فعل النغير؟ نغر[١] كان يلعب به»[٢].

وفي رواية عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن النبي ﷺ كان يدخل علىٰ أم سليم ولها ابن من أبي طلحة يكنىٰ أبا عمير، وكان يمازحه، فدخل عليه فرآه حزينا، فقال: مالي أرىٰ أبا عمير حزينا؟ فقالوا: مات نغره الذي كان يلعب به، قال: فجعل يقول: أبا عمير، ما فعل النغير؟»[٣].

في الحديث عدد من الفوائد التعليمية منها ما يتعلق بترجمة الباب، وهو تقدير المتعلم، ويظهر هذا من عدة أمور:

١- ممازحته ﷺ للطفل، ويلاحظ التعبير بصيغة المبالغة [يمازحه] مما يدل علىٰ الكثرة، و التعبير بالمضارع يدل علىٰ التجدد والتكرار، ولا شك بأن الذي تمازحه يشعر بتقديرك له، فكيف إن كانت هذه الممازحه ممن هو أعلىٰ مقاما في نواح كثيرة.

---

(١) طائر صغير.

(٢) صحيح البخاري برقم ٦٢٠٣، ومسلم برقم ٢١٥٠. وهذا الحديث مما تكلم وشنع فيه بعض المنتسبين للفقه علىٰ أهل الحديث، بزعم أن ليس في روايته فائدة؛ لذا فقد كتب بعض أهل الحديث في فوائده رسائل لطيفة منها: جزء فيه فوائد حديث أبي عمير لابي العباس أحمد ابن القاص [٣٣٥هـ] ذكر فيه ما يربو عن الستين فائدة. وانظر فتح الباري لابن حجر وقد ذكر فيه ما ذكره بعض العلماء.

(٣) مسند أحمد: ٣/ ١٨٨، ونحوه في سنن أبي داود برقم: ٤٩٦٩.

٢- التكنية: وهذا من تقدير الشخص وتعظيمه عند العرب قال الشاعر:

أكنيه حين أناديه لأكرمه ** ولا ألقبه والسوءة اللقبا[١]

٣- اظهار مشاعر المعلم للمتعلم، يشعر المتعلم بقيمته لدىٰ المعلم. وهذا ظاهر من سؤال النبيﷺ لأبي عمير عما حدث لطيره.

٤-مشاركة المتعلم اهتماماته ومشاكله، وعدم تحقيرها، حتىٰ لو لم تكن من اهتمامات المعلم؛ مالم يكن بها ضرر علىٰ المتعلم.

📖 ومن الجوانب التعليمية الأخرى في الحديث:

طريقة صياغة السؤال ومناسبتها للمسؤول. قال ابن القاص: «وقال بعض أصحابنا:. بل صفة الحكيم في خطابه ألا يضع الخطاب في غير موضعه، وكان في هذا الحديث كذلك دليل، ألا ترىٰ أنه ﷺ واجه الصغير بالخطاب عند المزاح فقال: يا أبا عمير، ما فعل النغير؟ ولم يواجهه بالسؤال عند العلم والإثبات، بل خاطب غيره، فقال: ما بال أبي عمير؟»[٢].

ومنها: أهمية الترفيه واللعب للأطفال.

ومنها: تنبه المعلم حال المتعلم وما قد يطرأ عليه من تغير، ويبني بعد ذلك سلوكه علىٰ ما يناسب الحال، فالنبيﷺ كان من عادته مع الطفل ممازحته، ولكنه لما علم بما حدث وتأثر الصغير بذلك؛ جعل الخطاب للمواساة.

ومنها: أن الممازحة لا تقلل من مكانة المعلم وهيبته. وهذا الأمر يراعىٰ فيه الحال ومناسبتها.

---

(١) شرح ديوان الحماسة ص: ٨٠٥. وقال: بعض الفزاريين.

(٢) فوائد حديث أبي عمير لابن القاص ص: ٣٠.

فصل اللهم وسلم علىٰ خير معلم وعلىٰ آله وصحبه وزوجه تسليما ما طلعت شمس وغربت.

❀ ❀ ❀

(٤١)

استخدام القصة للتوجيه

فقال أبو بردة بن أبي موسىٰ الأشعري عن أبيه قال: «نزل رسول الله ﷺ بأعرابي فأكرمه فقال له رسول الله ﷺ: تعهدنا ائتنا. فأتاه الأعرابي فقال له رسول الله ﷺ: ما حاجتك؟ فقال: ناقة نركبها، وأعنز يحلبها أهلي [(١)].

فقال رسول الله ﷺ: عجز هذا أن يكون كعجوز بني إسرائيل.

فقال له أصحابه: ما عجوز بني إسرائيل يا رسول الله؟.

فقال: إن موسىٰ حين أراد أن يسير ببني إسرائيل ضل عنه الطريق فقال لبني إسرائيل: ما هذا؟.

قال فقال له علماء بني إسرائيل: إن يوسف عليه السلام حين حضره الموت أخذ علينا موثقا من الله أن لا نخرج من مصر حتىٰ تنقل عظامه معنا.

فقال موسىٰ: أيكم يدري أين قبر يوسف؟.

فقال علماء بني إسرائيل: ما يعلم أحد مكان قبره إلا عجوز لبني إسرائيل. فأرسل إليها موسىٰ فقال: دلينا علىٰ قبر يوسف.

قالت: لا والله حتىٰ تعطيني حكمي.

فقال لها: ما حكمك؟ قالت: حكمي أن أكون معك في الجنة.

فكأنه كره ذلك، قال: فقيل له: أعطها حكمها فأعطاها حكمها- في رواية ابن حبان فأوحىٰ الله إليه أن أعطها حكمها - فانطلقت بهم إلىٰ بحيرة مستنقعة ماء،

---

(١) في المستدرك [ناقة برحلها، وبحر لبنها أهلي] والنص من صحيح ابن حبان، ومسند أبي يعلىٰ.

فقالت: لهم انضبوا هذا الماء فلما أنضبوا قالت: لهم احفروا فحفروا فاستخرجوا عظام يوسف فلما أن أقلوه من الأرض إذ الطريق مثل ضوء النهار»[١].

عندما طلب الأعرابي هذا الطلب من النبي ﷺ، استغل النبي الموقف ووظفه في تعليم علو الهمة، وطلب المنازل الكبرىٰ في الآخرة.

وحتىٰ تكون الاستفادة من الدرس أكبر قام ﷺ بأمرين:

الأول: وجه الخطاب للصحابة رضي الله عنهم، لينتبه من لم يكن منتبها.

الثاني: أعطىٰ معلومة ناقصة، لتكون محفزة ومستثيرة للانتباه؛ ولذلك قال الصحابة: وما عجوز بني إسرائيل؟!!.

هنا قدم النبي ﷺ الدرس، ولكنه لم يقدمه كمعلومة مباشرة، بل كقصة وحدث ليأخذ منه العبرة والعظة، مع ما فيه من متعة الطرح، والمعلومة التاريخية.

وكما قيل: القصص جند من جنود الله؛ لما فيها من فائدة وتوجيه.

والقصص التي قصها النبي ﷺ لصحابته كثيرة متنوعة مشهورة كقصص الذين تكلموا في المهد، والذين أطبق عليهم الغار، وقاتل التسعة والتسعين نفسا، والذي سقت السحابة مزرعته، والمقترض، والذي سقىٰ الكلب فأدخله الله الجنة، وقصة الأعمىٰ والأبرص والأقرع، وقصة موسىٰ والخضر عليهما السلام. وغيرها[٢].

فصل اللهم وسلم علىٰ محمد بن عبدالله ما ذكره الذاكرون، وسطر اسمه الكاتبون.

---

(١) في المستدرك: ٢/ ٤٠٤ وقال: [هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، ورواه ابن حبان في صحيحه: ٢/ ٥٢. مسند أبي يعلىٰ: ١٣/ ١٨٩.

(٢) من الكتب التي جمعت الصحيح من القصص النبوي كتاب للشيخ عمر الأشقر بعنوان: صحيح القصص النبوي. وذكر بعد كل قصة تخريجها والفوائد منها.

(٤٢)

استثارة الدافعية من خلال ما ظاهره خلاف المعهود

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قال رسول الله ﷺ: انصر أخاك ظالما أو مظلوما، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوما أفرأيت إذا كان ظالما كيف أنصره؟ قال: تحجزه (تحجره) أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره». (١).

وفي رواية: «قالوا: يا رسول الله هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما؟ قال: تأخذ فوق يديه». (٢).

لم يخف علىٰ النبي ﷺ عند قوله: انصر أخاك ظالما. أن هذا مما يخالف ما هو متقرر سلفا من وجوب إعطاء الحقوق ونصرة المظلوم ولو كان غريبا، فكيف يدعو النبي ﷺ لنصر القريب إن كان ظالما، ولذلك لم يتمالكوا إلا السؤال عن هذا الأمر المستغرب، وكان هذا هو المراد لسماع التقرير الجديد، في مفهوم نصرة القريب عندما يكون ظالما، وأنه في كفه عن البغي والظلم، لا كما كانوا من قبل علىٰ نصرة القريب حتىٰ في البغي وفي هذا يقول دريد بن الصمة:

هل أنا إلا من غَزِيةَ إن غوت ** غَوَيْت وإن تَرشُدْ غَزيّةُ أرشد

فصلىٰ الإله وسلم علىٰ من لم يدخر وسعا ولا أسلوبا في تعليم أمته ما ينفعهم خير تعليم.

---

(١) صحيح البخاري برقم ٦٩٥٢.

(٢) صحيح البخاري برقم ٢٤٤٤.

(٤٣)

معالجة آثار الفروق الفردية

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن ناسا من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم قال: أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة وفي بضع أحدكم صدقة قالوا يا رسول الله أياتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له»[1].

في التعليم كما في الحياة يتنافس الناس لتحقيق أكبر قدر مما يرونه مكسبا، ولما تربىٰ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ يد النبي ﷺ علىٰ تعظيم المكاسب الأخروية حز في نفوس بعضهم فوات الفرصة عليه في أن ينافسوا إخوانهم الأغنياء فشكوا ذلك لمعلمهم ومربيهم ليرشدهم للطريقة التي يلحقوا وينافسوا إخوانهم، فدلهم النبي ﷺ علىٰ أبواب أخرىٰ ليست من جنس ما تميز به إخوانهم عنهم [المال] **وهذا فيه مراعاة لأمرين:**

الأول: حاجة النفس لتحقيق النجاح والتنافس. فلم يهمل النبي ﷺ حاجتهم ولم يحقر منها بل قدرها وأرشدهم لتجاوزها.

الثاني: تفاوت واختلاف قدرات وإمكانات كل شخص كالسمات الشخصية والمتعلقة به من الظروف المالية والاجتماعية.

---

(١) صحيح مسلم برقم ١٠٠٦

وهكذا فتح لهم النبي ﷺ آفاقا كبيرة لتحصيل الأجور والنجاح في المجال الذي يفضلون التنافس فيه، بل وقد فتح له أبوابا لم يكونوا يتوقعون أنها من أبواب الأجر والثواب ألا وهي وطء الزوجة.

وهكذا ينبغي للمعلم أن يتعرف علىٰ قدرات طلابه وميولهم لينوع لهم أساليب تحقيق النحاج وتحصيل المعارف.

وفي رواية أخرىٰ للحديث تبين مرحلة متقدمة من المعالجة لمثل هذه الحالة.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور بالدرجات العلىٰ والنعيم المقيم، فقال: وما ذاك؟ قالوا: يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق، فقال رسول الله ﷺ: أفلا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم، تسبقون به من بعدكم؟ ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟ قالوا: بلىٰ يا رسول الله، قال: تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة. قال أبو صالح[1]: فرجع فقراء المهاجرين إلىٰ رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله، فقال رسول الله ﷺ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»[2].

هنا عندما يكون مجال المنافسة محدود، أو تكون جالات الاهتمام والميول مشتركة بين الطلاب ومع تفاوت القدرات والظروف الأخرىٰ بينهم، فلا بد من تفوق بعضهم علىٰ الأخرين، ينبغي أن يقر ويعترف ويرضىٰ الطالب بهذا التفاوت، وقد تجد النظريات العلمانية حرجة في تلبية حاجة النفس للتميز والتفوق، وتبقىٰ في النفس حزازات تؤدي للحسد وقد تتطور للعداء الظاهر.

---

(١) راوي الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح مسلم برقم ٥٩٥.

أما في ظل الإيمان بأن لهذا الكون خالق مالك وكلنا عبيد له ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨] فمقتضىٰ العبودية يستلزم التسليم بهذا التفاوت والرضىٰ به.

وأيضا في ظل الإيمان بأن الحياة الدنيا ما هي إلا دار امتحان، وأن الحياة الحقيقة والنجاح والفلاح الحقيقي هو في الآخرة، يهون عليه ما فاته منها خاصة مع علمه بأن رضاه بما قسم الله له سبيل لعلوه في الآخرة. وقد جاء هذا العلاج في رواية عند البزار[1]: «فقال: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء يا معشر الفقراء ألا أبشركم؟ إن فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم خمسمئة عام».

مع ملاحظة أن حزنهم كان لأمر شرعي لا دنيوي، ومع هذا فالنظر للأجر الأخروي يُذهب ما في نفوسهم، فكيف إن كان هذا لأجل مكاسب دنيوية. والله أعلم وأحكم.

فأزكىٰ صلاة وسلام علىٰ المبعوث رحمة وهدىٰ.

❁ ❁ ❁

(١) مسند البزار ١٢/ ٢٩٧. من طريق ابن عمر وقال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروىٰ عن ابن عمر إلا من هذا الوجه.

(٤٤)

حديث عظيم في التعليم

عن سعيد بن جبير قال: «قلت لابن عباس: إن نوفا البكالي يزعم أن موسىٰ ليس بموسىٰ بني إسرائيل. إنما هو موسىٰ آخر فقال: كذب عدو الله[1]، حدثنا أبي بن كعب، عن النبي ﷺ قال: قام موسىٰ النبي خطيبا في بني إسرائيل، فسُئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم. فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحىٰ الله إليه أن عبدا من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال: يا رب وكيف به؟ فقيل له: احمل حوتا في مكتل، فإذا فقدته فهو ثم، فانطلق وانطلق بفتاه يوشع بن نون، وحملا حوتا في مكتل، حتىٰ كانا عند الصخرة، وضعا رؤوسهما وناما، فانسل الحوت من المكتل ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف: ٦١]، وكان لموسىٰ وفتاه عجبا، فانطلقا بقية ليلتهما ويومهما، فلما أصبح، قال موسىٰ لفتاه: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢] ولم يجد موسىٰ مسا من النصب؛ حتىٰ جاوز المكان الذي أمر به، فقال له فتاه: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ [الكهف: ٦٣] قال موسىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤] فلما انتهيا إلىٰ الصخرة؛ إذا رجل مسجىٰ بثوب، أو قال تسجىٰ بثوبه - فسلم موسىٰ، فقال الخضر: وأنىٰ بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسىٰ، فقال: موسىٰ بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٦-٦٧] يا موسىٰ إني علىٰ علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت علىٰ علم علمكه لا أعلمه ﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩] فانطلقا يمشيان علىٰ ساحل البحر، ليس لهما

---

(١) كذب هنا بمعنىٰ الخطأ.

سفينة، فمرت بهما سفينة، فكلموهم أن يحملوهما، فعُرِف الخضر، فحملوهما بغير نول، فجاء عصفور، فوقع علىٰ حرف السفينة، فنقر نقرة، أو نقرتين في البحر، فقال الخضر: يا موسىٰ ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في البحر، فعمد الخضر إلىٰ لوح من ألواح السفينة فنزعه، فقال موسىٰ: قوم حملونا بغير نول عمدت إلىٰ سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف: ٧٢-٧٣] فكانت الأولىٰ من موسىٰ نسيانا، فانطلقا فإذا غلام يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر برأسه من أعلاه فاقتلع رأسه بيده، فقال موسىٰ: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف: ٧٤]، ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٥] قال ابن عيينة: وهذا أوكد - ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف: ٧٧] قال الخضر بيده فأقامه، فقال له موسىٰ: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٧-٧٨] قال النبي ﷺ: يرحم الله موسىٰ لوددنا لو صبر حتىٰ يقص علينا من أمرهما»[1].

هذا الحديث العظيم ورد أكثر ما فيه في سورة الكهف في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا[2] ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن

---

(١) صحيح البخاري برقم ١٢٢، ومسلم برقم ٢٣٨٠.

(٢) أحقاب: أي أزمنة طويلة.

تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا
﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ
حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ
جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ
شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا
تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا
فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي
وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ
فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن
يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ
فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ
أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ
صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الكهف: ٦٠-٨٢].

وفي الحديث والآيات لفتات وفوائد كثيرة في عدة جوانب سيكون الحديث هنا قاصرا علىٰ الجانب التعليمي، وقد يتكرر فيه ما قد سبق الإشارة إليه في أبواب سابقة، ولذا لم يُتَرْجم للحديث بترجمة حاصرة للفائدة منه، بل جعلنا الحديث فيه عاما لكل فائدة تعليمية، وقد تكون الفوائد فيه أكثر عمومية من كونها أسلوبا تعليميا؛ بل قد يكون خُلقا يحتاجه المتعلم، أو المعلم، فأقول وبالله التوفيق.

📖 من فوائد هذه القصة:

📖 الصبر:

وهذا ملاحظ فيما بذله موسىٰ عليه السلام من سفر وجهد للوصول لمن يبتغي من عنده المعرفة والعلم وقد قال موسىٰ عليه السلام: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾. وكذلك العلم لا بد له في ذاته من جهد وتعب، سوىٰ ما قد يبذله في سبيل الوصول إلىٰ مكانه، ولما اشتكىٰ بعض طلبة العلم صعوبة حفظ بعض المتون، وشكو ذلك لشيخهم قال لهم: ومن قال لكم إن العلم ينال بغير جهد، وروىٰ مسلم[1] عن يحيىٰ بن أبي كثير قال: لا يستطاع العلم براحة الجسم.

📖 الإصرار على تحقيق الهدف:

واجهت موسىٰ عليه السلام عوائق وصعوبات حتىٰ وصل إلىٰ الخضر عليه السلام، ثم اشترط عليه الخضر عليه السلام اشتراطات، ومع هذا كان إصرار موسىٰ عليه السلام علىٰ مصاحبته ليحقق هدفه وهو التعلم منه. وهكذا المتعلم عندما يضع هدفا تعليميا له، لابد من الإصرار والصبر والمواصلة إلىٰ بلوغ الهدف مهما كانت العوائق.

📖 وضوح الانظمة:

في الاتفاق بين الخضر وموسىٰ عليهما السلام كانت الاشتراطات وأنظمة المصاحبة واضحة، وكذلك العقوبات. وهذا يساعد المتعلم علىٰ السير وفق المطلوب، وكذلك يجعله متقبِلا للعقوبات إذا صدرت منه مخالفة. وكذلك يبعد المعلم عن المزاجية في سن الأنظمة والعقوبات.

---

(١) برقم ٦١٢.

📖 الصرامة في تطبيق الأنظمة:

في قوله تعالىٰ: ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ بعد الاستفسار الأخير والذي تعهد موسىٰ عليه السلام بقبول الفراق إن هو سأل؛ لم يراجعه في الكلام بل صدر الأمر مباشرة بالفراق. وهذا ينمي لدىٰ المتعلم الحزم والجدية وتحمل المسؤولية.

📖 العلاقة تابع ومتبوع:

ظهر جليا هنا أن مصاحبة موسىٰ عليه السلام وهو من أولي العزم من الرسل للخضر عليه السلام ؛ كانت للتعلم، وكما قال الخضر عليه السلام: «يا موسىٰ إني علىٰ علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت علىٰ علم علمكه لا أعلمه». ومع هذا كان الاشتراط وقرار إنهاء المصاحبة بيد الخضر عليه السلام. فمهما بلغت العلاقة بين المعلم والمتعلم، ينبغي أن تبقىٰ علاقة قائد وموجه لمقود ومتعلم، فلا ينبغي أن تزول جميع الحواجز والرسوم ليتمكن المعلم من التوجيه والإدارة.

📖 استغلال الأحداث للتعليم:

وهذا ظاهر من خلال حادثة العصفور، فالخضر عليه السلام استغل هذا الحدث لتقريب معنىٰ فضل علم الله تعالىٰ علىٰ علم الخلق.

📖 العقوبة بالحرمان:

من أنواع العقوبات العقوبة بالحرمان، وهذا ظاهر في القصة.

📖 توفيق الله:

التحصيل الدراسي، والتفوق في التعليم ليس منوطا بعمل وقدرة المتعلم والمعلم فقط؛ بل لا بد من توفيق الله لتحصيل العلم والمعرفة، وفي قوله تعالىٰ: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ [الأنبياء: ٧٩] دليل علىٰ أنها مواهب ربانية

يخص بها من يشاء، ومن أسباب طلبها من الله تعالىٰ الدعاء، وكذلك البعد عن معاصي الله تعالىٰ. قيل[١]:

شكوتُ إلىٰ وكيعٍ سوءَ حفظي ** فأوصاني إلىٰ تركِ المعاصي
وقال بأن حفظَ الشيءِ فضلٌ ** وفضلُ الله لا يُدركُه عاص

ويظهر توفيق الله تعالىٰ في القصة من خلال عدد من الأحداث: إحياء السمكة، وتقدير متىٰ اكتشف الغلام وتذكر فقد السمكة، فلم يكتشفها مباشرة، بل أنسىٰ الله الغلام المطلوب، مع علمه به حتىٰ يعود، فيكون الخضر موجودا.

وكذلك جميع الأحداث: حادثة العصفور، والسفينة، والغلام، والجدار.

📖 شعور المتعلم بحاجته للتعلم:

إن المحرك لموسىٰ عليه السلام، والدافع للبحث عن الخضر عليه السلام هو حرصه علىٰ التعلم، ولو تخيلنا عدم وجود هذا الشعور، فهل يمكننا توقع حدوث هذه القصة؟ فلهذا ينبغي أن ينمىٰ لدىٰ الطلاب الإحساس والشعور بأهمية العلم لهم ولحياتهم، وبهذا سيتحركون للبحث عنه، وبذل الجهد في تحصيله، والصبر علىٰ الصعوبات التي في طريق تحصيله.

📖 الغموض في المعلومات:

من خلال الحوادث التي مرت بموسىٰ عليه السلام مع الخضر برزت سمة، وهي أن تصرفات الخضر عليه السلام ومواقفه كانت مصدر استغراب من موسىٰ عليه السلام، مما كان يدفعه للتساؤل بل وللإنكار أيضا. وهذا راجع إلىٰ أن النفس البشرية تحاول تفسير

---

(١) الشعر ينسب للإمام الشافعي رحمه الله تعالىٰ وفي ثبوت ذلك انظر:
www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=٩٧٥٠٩ .

كل ما يحدث حولها بتفسير متوافق مع ما تَعْلَمُه عن الأطراف الذين يرتبطون بالحدث، فلم يكن من الطبيعي أن يقابل الخضر وهو الرجل الصالح الذين حملوه معهم في سفينتهم بإفسادها، وكذلك لم يكن من العدل قتل غلام لم يفعل شيئا يستوجب القتل، وكذلك كيف يُقَابل سوء صنيع أهل القرية بالإحسان لبعضهم. فكل هذه كانت تثير تساؤلات تحتاج إلىٰ الإجابة. وكذلك المعلم الناجح يستثير طلابه ويدفعهم إلىٰ التساؤل والاستغراب من خلال بعض الغموض الذي يتناسب وقدراتهم، ولكن لابد من التجلية النهائية التي تزيح ثقل التساؤل والغموض. وانظر إلىٰ الفرق في نفسية الذي لديه إشكالات وتساؤلات، ونفسية من تجلت له النقاط الغامضة في قوله تعالىٰ: ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ فعبر تعالىٰ بقوله ﴿تَسْتَطِع﴾ المثقلة، وبعد أن ذكر له تفسير الأحداث خففها فقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ مما يشير إلىٰ أن تفسير الأحداث خفف العبء والثقل النفسي عن موسىٰ عليه السلام، والذي كان بسبب التساؤلات والحيرة، والله تعالىٰ أعلم.

أن يمتلك المعلم ما يقدمه الطالب:

حتىٰ يكون المعلم مقنعا للطالب لا بد أن يكون لديه المادة المعرفية التي يستطيع أن يضيفها للطالب، فلو اكتشف الطالب ضعف معلمه في تخصصه لن يستفيد منه ولن يلقي لكلامه بالا، وفي قصة موسىٰ عليه السلام ظهر هذا جليا في قول الخضر عليه السلام: «يا موسىٰ إني علىٰ علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت علىٰ علم علمكه لا أعلمه». وفي هذه العبارة إشارة إلىٰ أن إظهار المعلم لاستفادته من الطلاب لا ينقص من مكانته بشرط أن يكونوا علىٰ قناعة تامة من تمكنه في تخصصه، وأن اعترافه بالاستفادة منهم بسبب حرصه علىٰ اكتساب المزيد.

🕮 تقسيم الأهداف لمراحل:

في القصة فرح موسىٰ عليه السلام مرتين، الأولىٰ: عندما علم بفقد السمكة، والثانية: عندما قابل الخضر. مع أن الهدف من الرحلة هو التعلم من الخضر، لا مجرد مقابلته، ولا رؤية مجمع البحرين، ففرحه عليه السلام كان لتحقيق أهداف مرحلية للهدف النهائي، وهكذا كل هدف تعليمي حتىٰ نصل إلىٰ النهاية فيه، لابد من تجزئته لأهداف مرحلية، وهذا يساعد في التحفيز، وعدم الملل لبعد الهدف الأكبر، ثانيا: في وصولنا لهذه الأهداف المرحلية تطمين لنا أننا علىٰ الطريق الصحيح في تحقيق الهدف الأكبر.

🕮 أهمية ومركزية دور المعلم:

في هذه القصة برز دور المعلم وأهميته، باعتبار كل ما بذله موسىٰ عليه السلام كان في سبيل مصاحبة الخضر، والاستفادة مما لديه.

🕮 استغلال الأحداث في التعلم:

في قوله ﷺ: « **فجاء عصفور، فوقع علىٰ حرف السفينة، فنقر نقرة، أو نقرتين في البحر، فقال الخضر: يا موسىٰ ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في البحر** » وهذا ظاهر في استغلال الخضر عليه السلام لحادثة العصفور لتوصيل المعلومة.

🕮 تقريب الأفكار المجردة والمعاني الصعبة وتشبيهها بالمحسوس:

وضح الخضر عليه السلام وبين عظمة اتساع علم الله تعالىٰ وهو أمر غيبي مجرد ومدىٰ قصور علم المخلوق مهما أوتي من العلم من خلال حادثة العصفر، وهذا فيه تقريبا للمعنىٰ وليس تحديد للفارق بين العلمين والله تعالىٰ أعلم.

الرحمة والعلم:

في قوله تعالىٰ: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ نجد تقديم الله تعالىٰ الرحمة علىٰ العلم، وأورد الصفة في هذا الموضوع لغرض؛ وهو والله تعالىٰ أعلم أهمية أن يقترن لدىٰ المعلم مع التمكن من المعرفة والعلم الرحمة والشفقة علىٰ المتعلم وقد قال الله تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] هذا مع علم الصحابة رضي الله عنهم بنبوته، فالغلظة والقسوة مدعاة لنفرة المتعلم من العالم ولو كان متمكنا.

الحرص على المفيد من العلوم:

الذي دفع موسىٰ عليه السلام إلىٰ مرافقة الخضر عليه السلام ؛ كون العلم الذي لدىٰ الخضر مما يهتم به، وفي قوله: ﴿عَلَىٰٓ﴾[1] عند قوله: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ جعل الفائدة شرطا للمصاحبة، وليست مجرد مطلب.

معرفة صفات الطالب:

في قول الخضر عليه السلام: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ إشارة إلىٰ معرفته ببعض صفات موسىٰ عليه السلام ، وقد حدث ما توقع[2] وتكرر عدم الصبر عن السؤال من قِبل موسىٰ عليه السلام ، مع تذكير الخضر عليه السلام له بذلك بعد كل سؤال منه.

---

(١) التضمين النحوي في القرآن الكريم لمحمد نديم فاضل: ١/ ٢٥٠.

(٢) هذا إن كان قاله من معرفته بسماته، وأما إن كان قالها من باب الوحي له؛ فالفائدة من باب الإشارة وليست من صريح الآية. وهذا راجع للخلاف في نبوته والله أعلم.

العقوبة على قدر الخطأ:

في قوله تعالىٰ: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِىْ ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾ يلاحظ التفاوت في شدة العبارة، فبعد استنكار موسىٰ عليه السلام الأول كان رد الخضر عليه السلام دون ﴿لَّكَ﴾ ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ وهذا يتناسب مع قول موسىٰ عليه السلام: ﴿إِمْرًا ﴾ ولما شدد موسىٰ عليه السلام في الاستفسار الثاني وقال: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾؛ شدد الخضر عليه السلام العبارة وزاد ﴿لَّكَ﴾ أي أنت لا غيرك، فلما جاء الاستنكار الثالث؛ صدر القرار بالفراق ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ ﴾. وكذلك علىٰ المعلم مراعاة الخطأ وحجمه، وتكراره، وفاعله عند إصدار العقوبة، وألا يكون هذا بحسب الحالة النفسية للمعلم بل وفق النظام الذي تم الاتفاق عليه مع الطلاب، وهذا ظاهر في قصتنا هنا.

الاستمرار في التعلم:

لا تخفىٰ مكانة موسىٰ عليه السلام وهو من أولي العزم من الرسل، ولا كونه يوحىٰ إليه، ومع هذا لم ينقطع عن التعلم؛ وهكذا المعلم لا بد من استمراره في الازدياد من المعارف وتبادل الخبرات مع المهتمين بتخصصه والتعليم بشكل عام[1].

---

(١) وهذا خلاف ما يردد بعض المعلمين من أنه لم يعد بحاجة للاستزادة لأنه درس المنهج من كذا سنة.

📖 التعليم بالمشاهدة والتطبيق:

وهذا من مجمل القصة، فلم يكتف الخضر وموسىٰ عليهما السلام بالجلوس مع بعضهما للحديث عن العلم، بل كان التعلم من خلال المصاحبة ومشاهدة المواقف العملية الحقيقية، وهذا أجدىٰ وأقوىٰ في التعلم، ويصعب تطبيقه في جميع المعارف، ويصعب كذلك في ظل النظام التعليمي الحالي، فمع التوجيه المباشر يحاول المعلم صنع المواقف التعليمية التي توضح الأفكار بشكل أقوىٰ، كذلك يستغل الأحداث التي تقع للطلاب، أو في المدرسة، أو الأحداث العامة، للاستفادة منها وتوظيفها للتعلم والتوجيه.

هذا آخر الأحاديث وشرحها، فما كان من صواب منه وحده، صاحب المنن والفضل، وما كان من زلل وخلل وخطل، وهو لا بد واقع، فمن ضعف العبد المسكين، وتزيين الشياطين، فأسأله سبحانه الغفران، وممن طالعه بفتح باب العذر والإحسان، بتصويب ما وقع به من خلل ولو علىٰ رؤوس العيان، والحمد لله أولا وآخرا، وصلىٰ الله علىٰ المبعوث رحمة وهداية للعالمين.

❀ ❀ ❀

الفهـــارس

م	الموضوع	الصفحة
	المقدمة	٧
١	الحديث الأول: تحفيز المتعلم	١٣
٢	الحديث الثاني: التدرج في المعارف	١٧
٣	الحديث الثالث: جذب الانتباه بالتكرار	١٩
٤	الحديث الرابع: استخدام الجسد في التعليم	٢٢
٥	الحديث الخامس: استخدام الرسومات	٣٤
٦	الحديث السادس: التمكن من التخصص	٣٧
٧	الحديث السابع: تفاوت قدرات المتعلمين	٣٨
٨	الحديث الثامن: تفاوت المعارف في الرتب	٤٠
٩	الحديث التاسع: وضوح الكلام	٤٣
١٠	الحديث العاشر: تكرار الكلام لتوضيح المراد	٤٥
١١	الحديث الحادي عشر: توضيح الفكرة بالمثال المشابه	٤٧
١٢	الحديث الثاني عشر: توضيح الفكرة بالبناء علىٰ ما يعرفه المتعلم سلفا	٤٧
١٣	الحديث الثالث عشر: زيادة الجواب عن السؤال لحاجة السائل	٥٢
١٤	الحديث الرابع عشر: عرض الفكرة من الجانب الأيسر	٥٦
١٥	الحديث الخامس عشر: تصحيح المفاهيم	٥٧
١٦	الحديث السادس عشر: جذب الانتباه بالصمت المقصود	٦٠

م	الموضوع	الصفحة
١٧	الحديث السابع عشر: جذب الانتباه بغموض المعلومة	٦٢
١٨	الحديث الثامن عشر: حماس المعلم	٦٤
١٩	الحديث التاسع عشر: مراعاة خصائص النمو	٦٥
٢٠	الحديث العشرون: إنجاز الحوافز	٧٠
٢١	الحديث الحادي والعشرون: الرفق في توجيه خطأ المتعلم	٧٢
٢٢	الحديث الثاني والعشرون: التعليم بالممارسة من قبل المتعلم	٧٥
٢٣	الحديث الثالث والعشرون: التعليم بالممارسة من قبل المعلم	٧٨
٢٤	الحديث الرابع والعشرون: اختيار الموقع المناسب لتعليم	٨٠
٢٥	الحديث الخامس والعشرون: التعليم بالألغاز	٨٢
٢٦	الحديث السادس والعشرون: توضيح الفكرة بالأدوات	٨٤
٢٧	الحديث السابع والعشرون: الثناء علىٰ سؤال المتعلم وأثره	٨٦
٢٨	الحديث الثامن والعشرون: شعور المتعلم باهتمام المعلم به	٨٩
٢٩	الحديث التاسع والعشرون: استغلال الأحداث للتعليم	٩١
٣٠	الحديث الثلاثون: القدرة علىٰ تجسيد الصور المجردة	٩٣
٣١	الحديث الحادي والثلاثون: اختيار الوقت المناسب لعرض الفكرة	٩٥
٣٢	الحديث الثاني والثلاثون: أخلاقيات المعلم	٩٧
٣٣	الحديث الثالث والثلاثون: تفريد التعليم [التعليم الفردي]	٩٨
٣٤	الحديث الرابع والثلاثون: عدم إملال المتعلم	٩٩
٣٥	الحديث الخامس والثلاثون: التحفيز بأهمية المعلومة	١٠١

م	الموضوع	الصفحة
٣٦	الحديث السادس والثلاثون: تعلم ما يحتاج له بقدره	١٠٤
٣٧	الحديث السابع والثلاثون: الحكمة ضالة المؤمن	١٠٥
٣٨	الحديث الثامن والثلاثون: تعزيز السلوك الجيد	١٠٧
٣٩	الحديث التاسع والثلاثون: الدعاء.....	١٠٩
٤٠	الحديث الأربعون: تقدير واحترام المتعلم.....	١١٢
٤١	الحديث الحادي والأربعون: استخدام القصة للتوجيه	١١٥
٤٢	الحديث الثاني والأربعون: استثارة الدافعية بما ظاهره خلاف المعهود.....	١١٧
٤٣	الحديث الثالث والأربعون: معالجة آثار الفروق الفردية	١١٨
٤٤	الحديث الرابع والأربعون: عظيم في التعلم	١٢١
	الفهارس	١٣٢